من النفط إلى الخوارزميات: إعادة تشكيل ميزان القوى العالمي

ص10

عاطف أبوسيف

هدهد فلسطين .. الناجي من الموت مرتين

ص8

تآكل الشرعية في إيران رغم صلابة القبضة الأمنية

ص3

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الجمعة 2025/12/19 - 28 جمادى الثانية 1447

السنة 48 العدد 13689

Friday 19/12/2025

48th Year, Issue 13689

www.alarab.co.uk

مصر ترسم خطوطها الحمراء في السودان: لا مجال لأجندات انفصالية أو كيانات موازية

القاهرة والرياض تتشاركان الهواجس ذاتها حيال ما يجري في السودان

صابرة دوح

القاهرة - قطع البيان الصادر عن الرئاسة المصرية، الخميس، مع المضمون الدبلوماسي المعهود في التطرق إلى المعضلة السودانية، ورسم بشكل واضح وحازم "خطوطا حمراء" لا يمكن السماح بتجاوزها أو التهاون بشأنها، في ما يتعلق بالحرب الدائرة في البلد الجار، ما يطرح تساؤلات حول ما إذا كانت مصر مستعدة للتدخل العسكري في حال تم تجاوز تلك الخطوط، خاصة وأن الرئاسة أشارت إلى استعدادها لتفعيل اتفاقية الدفاع المشترك بين البلدين.

ويعكس بيان الرئاسة المصرية، الذي جاء بمناسبة زيارة رئيس مجلس السيادة الانتقالي قائد الجيش السوداني الفريق أول عبدالفتاح البرهان إلى القاهرة، وجود تخوفات جدية من أجندة تستهدف تقسيما جديدا للسودان، على ضوء ما يجري على الميدان، حيث نجحت قوات الدعم السريع في فرض قبضتها على إقليم دارفور غرب البلاد، وهي تتمدد حاليا بدعم من "الحليف الجديد" الحركة الشعبية – قطاع الشمال بزعامة عبدالعزيز الحلو في إقليم كردفان المجاور.

ويقول متابعون إن قوات الدعم السريع حصلت في الأشهر الأخيرة على دعم عسكري كبير من قوى إقليمية، ما جعلها تتجاوز سريعا خسارتها السيطرة على العاصمة الخرطوم، لتفتح جبهة واسعة في غرب البلاد ووسطها، فيما يبدو الجيش عاجزا عن مجاراة نسقها.

> ما يحدث في السودان يشكل تحديا كبيرا للأمن القومي المصري، وينذر بفرض وقائع جديدة على خارطة النفوذ في المنطقة

وأعربت الرئاسة المصرية في بيانها عن "قلقها البالغ من استمرار حالة التصعيد والتوتر الشديد في السودان، وما نجم عن هذه الحالة من مذابح مروعة وانتهاكات سافرة لأبسط قواعد حقوق الإنسان في حق المدنيين السودانيين، خاصة في الفاشر"، في إشارة إلى سيطرة قوات الدعم السريع في السادس والعشرين من أكتوبر على عاصمة شمال دارفور، وبالتالي خسارة الجيش السوداني لآخر موطئ قدم له في الإقليم الإستراتيجي.

وأكدت الرئاسة المصرية "أن هناك خطوطاً حمراء لا يمكن السماح بتجاوزها أو التهاون بشأنها باعتبار أن ذلك يمس مباشرة الأمن القومي المصري، الذي يرتبط ارتباطًا مباشرا بالأمن القومي السوداني".

وشددت في البيان "على أن الحفاظ على وحدة السودان وسلامة أراضيه وعدم العبث بمقدراته ومقدرات الشعب السوداني هي أحد أهم هذه الخطوط الحمراء، بما في ذلك عدم السماح بانفصال أي جزء من أراضي السودان".

وجددت في السياق ذاته رفضها القاطع لإنشاء أية كيانات موازية أو الاعتراف بها باعتبار أن ذلك يمس وحدة السودان وسلامة أراضيه، في إشارة إلى الحكومة الموازية التي شكلتها قوات الدعم السريع مع عدد من القوى المسلحة والسياسية في غرب البلاد.

البرهان في القاهرة بعد زيارة الرياض

وقال بيان الرئاسة المصرية إن "الحفاظ على مؤسسات الدولة السودانية ومنع المساس بهذه المؤسسات هو خط أحمر آخر لمصر، وتؤكد مصر على حقها الكامل في اتخاذ كافة التدابير والإجراءات اللازمة التي يكفلها القانون الدولي واتفاقية الدفاع المشترك بين البلدين الشقيقين لضمان عدم المساس بهذه الخطوط الحمراء أو تجاوزها".

وإلى وقت قريب حرصت مصر على تبني لغة دبلوماسية هادئة نسبيا، رغم تأكيدها المستمر على دعمها للمؤسسة العسكرية السودانية وباقي مؤسسات الدولة. لكن تسارع الأحداث الميدانية، وما يرافقه من تسريبات عن قيادة الدعم السريع لمخطط تقسيمي، دفع مصر إلى الخروج من مربع الدبلوماسية "الناعمة" وتبني "لغة خشنة".

ويشير محللون إلى أن الموقف المصري الأخير يعكس استعداد القاهرة لجميع السيناريوهات، ومنها فرضية التدخل العسكري، في حال تم المساس بأحد الخطوط الحمراء التي أعلنتها الرئاسة المصرية.

ويقول المحللون إن موقف القاهرة وإن بدا مفاجئا للبعض، لكن له دوافعه فما يحدث في السودان يشكل تحديا كبيرا للأمن القومي المصري، وينذر بفرض وقائع جديدة على خارطة النفوذ في المنطقة.

ويوضح المحللون أن المخاوف المصرية تنسحب أيضا على السعودية التي لا تخفي بدورها هواجسها حيال ما يجري في السودان بالنظر لتأثيراته المباشرة على أمنها القومي.

وقبل زيارته إلى القاهرة كان البرهان قد زار الرياض بدعوة من ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان. وأجرى قائد الجيش السوداني هناك لقاء مع المبعوث الأميركي للسودان مسعد بولس، أعلن بعده البرهان عن استعداده للتعاون مع الإدارة الأميركية لتحقيق السلام وإنهاء الحرب في بلاده.

وفي نوفمبر الماضي حرص ولي العهد السعودي خلال لقائه بالرئيس الأميركي دونالد ترامب في البيت الأبيض على طلب تدخل الأخير بشكل مباشر لوضع حد للصراع الدائر في السودان.

الانتقالي الجنوبي يقابل دعوات التهدئة بتصعيد خطابه تجاه الشرعية اليمنية

عدن - صعّد المجلس الانتقالي الجنوبي من خطابه الناقد للحكومة في اليمن، متجاهلا دعوات محلية وإقليمية وأممية إلى خفض التصعيد والانسحاب من المناطق التي سيطر عليها مؤخرا شرقي البلاد.

وهاجم رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي عيدروس الزبيدي الحكومة المعترف بها دوليا، متهما إياها بـ"التنصل من واجبها الوطني" لتحرير مناطق الشمال الخاضعة لسيطرة الحوثيين.

ومنذ الثالث من ديسمبر الجاري تسيطر قوات الانتقالي على محافظة حضرموت، بعد معارك مع "حلف قبائل حضرموت" وقوات المنطقة العسكرية الأولى التابعة للحكومة.

وبعد أربعة أيام، بسطت قوات المجلس سيطرتها على محافظة المهرة، التي كانت تخضع للقوات الحكومية.

وتزايدت دعوات محلية وإقليمية إلى انسحاب قوات المجلس الانتقالي من المهرة وحضرموت، اللتين تشكلان نحو نصف مساحة اليمن.

وثمة تحذيرات من عواقب استمرار التصعيد في البلد الذي يواجه إحدى أسوأ الأزمات الإنسانية والاقتصادية في العالم، بحسب الأمم المتحدة.

وبحسب الموقع الإلكتروني للمجلس الانتقالي، "التقى الزبيدي الأربعاء محافظ ذمار المعين من الحكومة علي القوسي، لبحث أهمية تضافر جهود القوى الوطنية المنضوية في إطار مجلس القيادة لتحرير مناطق الشمال الخاضعة لسيطرة الميليشيات الحوثية".

وخلال اللقاء قال الزبيدي إن "قيادة الشرعية تنصّلت مرارا من المهام الوطنية المنوطة بها لتحرير المناطق التي ترزح تحت وطأة الظلم والاضطهاد الحوثي في الشمال".

وأشار إلى أن القوى المنضوية في إطار مجلس القيادة تبذل جهودا للتحضير لما أسماه "معركة الخلاص"، في إشارة إلى إنهاء سيطرة جماعة الحوثي على مناطق شمال البلاد، متهما الحكومة بعرقلة هذه الجهود.

ويعتبر هذا أعلى تصعيد خطابي من المجلس الانتقالي منذ سيطرته على حضرموت والمهرة، حسب إعلام محلي، فيما لم يصدر تعليق من الحكومة حول تصريحات الزبيدي.

وكان المجلس الانتقالي أعلن الثلاثاء بدء عملية عسكرية في حضرموت قال إنها لتمشيط الأودية والمناطق من "العناصر الإرهابية"، في إشارة إلى تنظيم القاعدة. فيما حذر حلف قبائل حضرموت من انفجار الوضع، متهما المجلس الانتقالي بتنفيذ عمليات اختطاف واعتقال بحق معارضين له.

وتأسس هذا الحلف عام 2013، ويطالب بحكم ذاتي للمحافظة الواقعة على ساحل البحر العربي، وهو هيكل محلي لا يتبع للحكومة الشرعية.

ورغم التأكيد المحلي والدولي على وحدة اليمن واستقراره، يواصل المجلس الانتقالي مخاطبة أنصاره بأنه عازم على الانفصال عن الشمال.

والأربعاء، قال رئيس الجمعية الوطنية للمجلس الانتقالي علي الكثيري، خلال لقائه في مدينة سيئون وفدا من مديرية حريضة في حضرموت، إن "المرحلة الراهنة تتطلب من الجميع الاستعداد لإعلان الدولة، بعد الحفاظ على الأمن وتعزيزه في وادي حضرموت وتطهيره من العناصر الإرهابية".

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

مبروك لسوريا... رفع العقوبات خطوة أولى، ماذا عن الانتصار الداخلي؟

مبروك لسوريا. مبروك لشعبها الذي انتظر طويلاً أن يُرفع عنه الحصار، أن يُسمح له بالتنفس، أن يُنظر إليه لا كملف أمني، بل أمة تستحق الحياة. قرار الكونغرس الأميركي برفع العقوبات نهائيًا عن سوريا لحظة تاريخية تحمل في طياتها الكثير من الأمل، والكثير من الأسئلة. لقد انتصرت سوريا خارجيًا، أو على الأقل خرجت من دائرة العزل، لكن هل يكفي ذلك؟ هل يمكن لهذا الانفراج أن يتحول إلى بداية انتصار داخلي حقيقي؟

القرار الأميركي، مهما كانت خلفياته، يعكس تحولًا في المزاج الدولي تجاه سوريا. بعد سنوات من العقوبات التي طالت الاقتصاد والمواطنين والبنية التحتية، يأتي هذا القرار ليعيد فتح الأبواب أمام التجارة، الاستثمار، التعليم، وحتى السفر. إنه اعتراف ضمني بأن سياسة العزل لم تؤدِّ إلى النتائج المرجوة، وأن الشعب السوري لا يمكن أن يُترك رهينة للتجاذبات الدولية إلى الأبد. لكن هذا الاعتراف لا يحمل ضمانات، ولا يقدّم وصفة جاهزة للمرحلة المقبلة. إنه مجرد فرصة، والفرص لا تصنع التغيير إلا إذا التُقطت بوعي وإرادة.

في الشارع السوري، هناك فرحة حقيقية. الناس يتحدثون عن عودة الشركات، عن إمكانية تحسين الوضع المعيشي، عن أمل جديد في إعادة الإعمار. رجال الأعمال يتطلعون إلى استئناف مشاريعهم، والطلاب يحلمون بالسفر والدراسة، والمغتربون يتحدثون عن العودة. لكن هذه الفرحة، رغم مشروعيتها، لا تكفي وحدها. فرفع العقوبات لا يعيد المهجرين، ولا يعالج الجراح، ولا يبني الثقة. المطلوب اليوم هو أن يتحول هذا الانفراج الخارجي إلى مشروع داخلي، إلى رؤية وطنية شاملة تعيد بناء الإنسان قبل الحجر.

الاقتصاد السوري، الذي أنهكته الحرب والعقوبات، أمام فرصة نادرة للانطلاق من جديد. يمكن أن يشهد تدفقًا في الاستثمارات، وعودة في حركة التجارة، وانفتاحًا في النظام المصرفي. لكن ذلك يتطلب بيئة قانونية شفافة، ومؤسسات اقتصادية مرنة، وإرادة سياسية حقيقية لتجاوز منطق المحاصصة والاحتكار. لا يكفي أن تُرفع العقوبات، بل يجب أن تُرفع العوائق الداخلية التي تعرقل النمو، من البيروقراطية إلى الفساد، ومن المركزية إلى غياب الحوكمة الرشيدة.

الانتصار الداخلي لا يُقاس فقط بالمؤشرات الاقتصادية، بل يبدأ من المصالحة الوطنية. سوريا بحاجة إلى حوار شامل، إلى إعادة بناء الثقة بين مكوناتها، إلى عدالة انتقالية تعترف بالآلام وتفتح الطريق نحو التعايش. لا يمكن لأي مشروع تنموي أن ينجح في ظل انقسامات مجتمعية عميقة، ولا يمكن لأي إصلاح أن يترسخ دون مشاركة حقيقية من المواطنين. المطلوب اليوم هو أن يشعر السوري، أيًا كان موقعه، أن له مكانًا في هذا الوطن، وأن صوته مسموع، وأن كرامته مصانة.

في الخارج، الجاليات السورية أمام فرصة تاريخية للمساهمة في إعادة البناء. آلاف العقول التي هاجرت بسبب الحرب، من مهندسين وأطباء ورواد أعمال، يمكن أن تعود أو تساهم عن بُعد في نهضة البلاد. لكن ذلك يتطلب بيئة جاذبة، من حيث الأمان القانوني، والفرص المهنية، والاعتراف بالكفاءات. كما أن المجتمع المدني المحلي، الذي صمد رغم كل الظروف، يمكن أن يكون شريكًا في التنمية، لا مجرد متفرج. تمكين الشباب، النساء، والكوادر العلمية يجب أن يكون في صلب أي رؤية مستقبلية.

رفع العقوبات ليس نهاية الطريق، بل بدايته. إنه اختبار للقدرة على تحويل الانفراج السياسي إلى نهضة وطنية. المطلوب اليوم هو رؤية إستراتيجية، لا تكتفي برد الفعل، بل تبادر إلى الفعل. المطلوب هو أن تتحول سوريا من ساحة صراع إلى منصة إنتاج، من دولة منهكة إلى دولة فاعلة، من مجتمع مجروح إلى مجتمع متماسك. وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا اجتمعت الإرادة السياسية مع الحراك المجتمعي، وإذا تم تجاوز منطق الانتظار إلى منطق المبادرة.

> رفع العقوبات ليس نهاية الطريق، بل بدايته. إنه اختبار للقدرة على تحويل الانفراج السياسي إلى نهضة وطنية

لا تضيّعوا هذه الفرصة... لا تكتفوا بالاحتفال برفع العقوبات، بل اسعوا إلى رفع الظلم الداخلي، إلى إصلاح المؤسسات، إلى بناء عقد اجتماعي جديد. الشعب السوري يستحق أكثر من مجرد انفراج خارجي، يستحق حياة كريمة، تعليمًا جيدًا، صحة متاحة، وعدالة نزيهة، يستحق أن يعيش في وطن لا يخاف فيه من الغد، ولا يشعر فيه بالغربة.

إن رفع العقوبات يجب أن يكون لحظة مراجعة، لا لحظة ارتياح؛ مراجعة للسياسات، للمسارات، للأولويات. يجب أن يُسأل السؤال الصعب: كيف وصلنا إلى هنا؟ وماذا يجب أن نفعل كي لا نعود؟ يجب أن يُفتح الباب أمام النقد البناء، أمام الإعلام الحر، أمام المشاركة السياسية. فالديمقراطية ليست ترفًا، بل ضمانة للاستقرار، والشفافية ليست عبئًا، بل شرط للثقة.

مبروك لسوريا، ولشعبها الذي صبر وانتظر. مبروك لكل أم حلمت بعودة ابنها، ولكل شاب حلم بمستقبل أفضل، ولكل طفل يستحق أن يكبر في وطن آمن. الانتصار الخارجي تحقق، لكن النصر الحقيقي هو بناء وطن يشعر فيه الجميع بالأمان والكرامة. فلنحولوا رفع العقوبات إلى رفع للثقة، للعدالة، وللحياة. ابدأوا من الداخل، لأن الخارج وحده لا يكفي. هذه لحظة تاريخية، فكتبوها بحكمة، لا بانفعال. اصنعوا منها بداية جديدة، لا مجرد نهاية لعقوبة. امنحوا سوريا ما تستحق.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الجمعة 2025/12/19
السنة 48 العدد 13689

حراك تشكيل حكومة إقليم كردستان العراق يدور في حلقة مفرغة

الاتحاد الوطني يتقدم بمبادرة للتوافق مع الديمقراطي الكردستاني ويجدد تمسكه بمطالبه

انطلاق حراك تشكيل الحكومة الاتحادية العراقية، والذي قد يفضي إلى تشكيلها بالفعل في أمد قريب، لا يخلو من حرج للحزبين الرئيسيين في إقليم كردستان العراق واللذين أدى صراعهما على المناصب إلى تأخير تشكيل حكومة جديدة للإقليم لأكثر من سنة منذ إجراء الانتخابات البرلمانية.

المتفقان دائما على أن لا يتفقا أبدا

السليمانية (العراق) - لاحت في إقليم كردستان العراق بوادر تحرّك جديد لكسر جمود تشكيل حكومة للإقليم تعذّر التوافق بشأنها بين الحزبين الرئيسيين، الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة مسعود بارزاني وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني بقيادة بافل جلال طالباني.

وأجريت الانتخابات البرلمانية في الأقليم قبل أكثر من عام وأسفرت كما هو معهود عن نتائج لا تمكّن أيا من الحزبين من تشكيل حكومة دون توافق مع الحزب الآخر، لكنّ ذلك التوافق تعذّر إلى حدّ الآن بسبب خلافات الطرفين على تقاسم المناصب والوزارات وخصوصا السيادية منها.

ودأب حزب بارزاني على قيادة سلطات الحكم الذاتي في إقليم كردستان بهيمنته على منصبي رئيس الحكومة ورئيس الإقليم، لكن حزب طالباني المدعوم من قوى شيعية متنفذة في السلطة الاتّحادية العراقية رفع من سقف طموحاته وبات يطالب بحصص أكبر في إدارة الإقليم، وهو أمر يرفضه الديمقراطي الكردستاني ليفضي ذلك التضاد إلى عقدة تشكيل الحكومة.

وتأتي محاولة كسر الجمود بالتوازي مع الحراك السياسي الجاري في العراق لتشكيل حكومته الاتّحادية في ضوء نتائج الانتخابات البرلمانية التي أجريت في نوفمبر الماضي، وهو أمر لا يخلو من حرج للسياسيين في إقليم كردستان الذين سيتقدمون للفوز بحصص في السلطة الاتحادية فيما هم عاجزون عن تشكيل حكومة إقليمهم منذ أكثر من عام.

ويمكن لحراك تشكيل الحكومة العراقية أن يضيف المزيد من التعقيدات لعلاقات حزبي بارزاني وطالباني، وذلك بسبب تنافسهما على مواقع في السلطة الاتّحادية، على رأسها منصب رئيس الجمهورية ووزير الخارجية ونائب رئيس مجلس النواب.

وأشار إلى ذلك المتحدث باسم الاتحاد الوطني الكردستاني كاروان كزنبي حين قال إنّ الخلافات التي نشأت بين الاتحاد الوطني والديمقراطي الكردستاني بعد انتخابات مجلس النواب العراقي أدت إلى فتور في الاجتماعات بين الحزبين وبقاء عدد من الملفات عالقة، مشيرا إلى أنّ اجتماعا عُقد بين الجانبين خلال الأيام الماضية "لم يكن سيئا، وكان بمثابة تمهيد لمراحل مقبلة".

وكان كزنبي يتحدّث في مؤتمر صحافي عقده الخميس وكشف فيه عن تقديم حزبه مشروعا لتشكيل حكومة للإقليم، مؤكدا عدم التراجع عن بنوده، فيما شدّد على أن التوافق أصبح ضرورة ملحّة، داعيا الحزبين الرئيسيين إلى تحمّل مسؤولياتهما.

كاروان كزنبي

خلافاتنا مع الديمقراطي الكردستاني لا تنحصر في منصب بعينه

وأضاف أن الاتحاد والديمقراطي حزبان مختلفان ولديهما رؤى وتصورات متباينة، إلا أن الأمل قائم بتقريب وجهات النظر من أجل خدمة المواطنين عبر تشكيل حكومة خدمية شاملة في إقليم كردستان.

وأوضح أن الخلافات بين الحزبين تتمحور حول مستويين، الأول يتعلق برؤية الحكم، والثاني بتوزيع المناصب، مؤكدا أن "كلا المستويين مهم، لكن المشكلة لا تنحصر في منصب واحد، ولم يكن أي منصب بعينه عقدة تشكيل الحكومة".

وأشار إلى أن "الاتحاد الوطني يسعى إلى شراكة حقيقية في حكم إقليم كردستان، وقد أعدّ مشروعا للتفاوض وقدّمه، ولن يتراجع عن أي من نقاطه التفاوضية"، لافتا إلى أن "المناصب التي نراها حقا لنا هي استحقاق للاتحاد الوطني ولن نتنازل عنها".

وأضاف كزنبي "في المرحلة الحالية تقع على عاتقنا مسؤولية كبيرة، ونحن أمام استحقاق تشكيل حكومتين، ومن أجل انتزاع حقوقنا واستحقاقاتنا في بغداد، نحتاج إلى خطاب موحّد ورسالة واحدة".

كما كشف المتحدث باسم الاتحاد الوطني خلال المؤتمر أن حزبه لم يحدد حتى الآن مرشحه لمنصب رئيس جمهورية العراق، مؤكدا بالقول "لم نحدد مرشحاً لرئاسة الجمهورية بعد، لكن سيكون لنا مرشح في المرحلة المقبلة".

وكان وفدان من حزبي بارزاني وطالباني قد عقدا قبل أيام اجتماعا في قضاء بيرمام لم يفض إلى أي نتائج أو اتفاق، ولم يصدر عنه أي بيان رسمي.

ولا يعمل عامل الوقت لمصلحة الحزبين القائدين للعملية السياسية في كردستان العراق إذ يتحتم عليهما تشكيل حكومة للإقليم لتكون شريكة للحكومة الاتحادية القادمة وتتمع بكامل الشرعية لمحاورتها بشأن الملفات المعقدة، لاسيما الخلافية منها على غرار الملف المالي والتحكم بموارد النفط وإدارة شؤون المناطق المتنازع عليها والمشمولة بالمادة مئة وأربعين من دستور العراق.

ولم يكن إعلان الإطار التنسيقي الشيعي المكون من أبرز الأحزاب والفصائل الشيعية المسلحة عن حفاظه على تماسكه وتشكيله الكتلة البرلمانية الأكبر، وكذلك إعلان عدد من الأحزاب السُنية عن تشكيل هيكل جامع لها شبيه بالإطار ويحمل اسم المجلس السياسي الوطني، من دون تأثير في الأحزاب والقوى الكردية، لاسيما حزبي طالباني وبارزاني اللذين باتا يشعران بوطأة ضياع الوقت بسبب انغماسهما في الخلافات والصراعات البينية على السلطة، وبخطورة الإبقاء على تشتت الصف وتفرّق الكلمة في ظل تجمّع القوى الأخرى وتوحّدها.

وعلى عكس المنتظر من حزبي بارزاني وطالباني المؤتمنين على توحيد صف آكراد البلاد دفاعا عن قضاياهم وحماية مصالحهم، أصبح التأخر الكبير في تشكيل حكومة الإقليم، بل تعطيل البرلمان بعد أكثر من عام على انتخابه، مدعاة لاتهامهما بتشتيت كلمة المكون الكردي وإضعاف صوته في الدولة الاتحادية العراقية بما يثيرانه من خلافات لا تنتهي وما يخوضانه من صراعات لا تهدأ على السلطة.

وفي مقابل ذلك القدر من الوحدة الشيعية والسنية ستظل القوى السياسية الكردية العراقية في غياب هيكلها الجامع مضطرة إلى التفاوض كل بشكل منفرد سعيا لتحقيق مصالح حزبية ضيّقة.

واستقر العرف السياسي في العراق على أن يكون منصب رئيس الوزراء، وهو المنصب التنفيذي الأهم في البلاد، من نصيب الشيعة، وأن يكون منصب رئيس الجمهورية من نصيب الأكراد، ومنصب رئيس البرلمان من نصيب السنّة.

ولا يوجد في الدستور العراقي ما يؤكّد تلك القسمة ويحميها من إمكانية التغيير، وهو ما يجعل وحدة القوى الممثلة للمكونات العراقية أمرا ضروريا لحماية أنصبتها في المواقع الرئيسية بالسلطة.

حرب المسيّرات تترك مدنا رئيسية في السودان بلا كهرباء

بورتسودان (السودان) - انقطعت الكهرباء عن مدن رئيسية في السودان، من بينها الخرطوم وبورتسودان، إثر قصف جوي بمسيّرات استهدف محطة توليد كهرباء رئيسية في شرق البلاد.

وباتت الطائرات المسيرة السلاحَ الأبرز المستخدم في الحرب الدائرة بين الجيش وقوات الدعم السريع منذ أبريل 2023.

وذكر مصدر عسكري سوداني أن قوات الدعم السريع شنّت، فجر الخميس، 35 هجوما بطائرات مسيّرة على مدن في شرق السودان من بينها عطبرة، حيث توجد محطة كبيرة للطاقة الكهربائية.

من جهتها أوضحت شركة الكهرباء الوطنية أنّ الضربات استهدفت محوّلات كهرباء في محطة المقرن لتوليد الطاقة في عطبرة بولاية نهر النيل.

وقال مسؤول في محطة توليد الكهرباء إن اثنين من عناصر الدفاع المدني قُتلا أثناء محاولتهما إخماد حريق اندلع عقب الغارة الأولى التي اتهم قوات الدعم السريع بتنفيذها.

وأكدت حكومة ولاية النيل في بيان مقتل العنصرين. وتُعدّ هذه المحطة مركزا إستراتيجيا في شبكة الكهرباء السودانية، إذ تستقبل الطاقة المولّدة من سد مروي الذي يشكّل أكبر مصدر للطاقة الكهرومائية في البلاد، قبل توزيعها على مختلف المناطق.

ويأتي هذا التطور مع احتدام المعارك بين قوات الدعم السريع والجيش في إقليم كردفان، وسط السودان.

ويرى مراقبون أن استهداف مناطق ومدن في شرق السودان الخاضع لسيطرة الجيش، يندرج في سياق سعي قوات الدعم السريع إلى زيادة الضغط على المؤسسة العسكرية وتشتيت قواها.

وأفاد شهود عيان بأن الجيش فعّل أنظمة دفاعه الجوي قرابة الساعة 2.00 (منتصف الليل بتوقيت غرينتش)، مشيرين إلى رؤية ألسنة اللهب والدخان تتصاعد فوق المدينة الخاضعة لسيطرة الجيش السوداني.

وطال انقطاع الكهرباء ولايات عدة، من بينها ولايات في النيل والبحر الأحمر حيث تقع بورتسودان (التي يتخذ منها الجيش ومؤسساته عاصمة مؤقتة)، بالإضافة إلى العاصمة الخرطوم، وفق شهود عيان، بينما لا يزال الحريق خارج السيطرة. ولم تُعلّق قوات الدعم السريع على الهجوم بعد.

وفي الأشهر الأخيرة وُجّهت اتهامات لقوات الدعم السريع بشنّ ضربات بطائرات مسيّرة على مناطق واسعة يسيطر عليها الجيش، مستهدفة منشآت مدنية ومتسببة في انقطاع التيار الكهربائي عن منازل الملايين من الأشخاص.

ويتخذ الصراع الدائر بين الجيش وقوات الدعم السريع في الأشهر الأخيرة منعطفا خطيرا، وسط مطالبات دولية بهدنة إنسانية.

استهداف مناطق في شرق السودان في سياق سعي الدعم السريع إلى زيادة الضغط على المؤسسة العسكرية

وذكر تقرير صادر عن مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان أن أكثر من 1000 مدني قتلوا عندما سيطرت قوات الدعم السريع على مخيم للنازحين في منطقة دارفور في أبريل، نحو ثلثهم تعرضوا لعمليات إعدام خارج نطاق القانون.

وقال فولكر تورك مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان في بيان مصاحب للتقرير المكون من 18 صفحة "مثل هذا القتل المتعمد للمدنيين أو من يعجزون عن القتال قد يشكل جريمة حرب تتمثل في القتل العمد".

وكان مخيم زمزم في منطقة دارفور غرب السودان يضم نحو نصف مليون نازح بسبب الحرب الأهلية وشنت قوات الدعم السريع حملة السيطرة عليه في الفترة من 11 إلى 13 أبريل.

السودان مختطف

هجوم تدمر يكشف عن خلل في بنية قوى الأمن السورية الجديدة

دمشق - كشف الهجوم الذي أودى بحياة ثلاثة أميركيين في سوريا ونفّذه عنصر من قوات الأمن الجديدة، بحسب السلطات، خللا في آلية التجنيد التي اعتمدتها الإدارة الجديدة منذ وصولها إلى الحكم ولم تحل دون ضمّ عناصر خارجة عن سيطرتها.

ووضع الهجوم دمشق في موقف حرج على ضوء تقاربها غير المسبوق مع واشنطن، وانضمامها أخيرا إلى التحالف الدولي لقتال تنظيم الدولة الإسلامية.

وفي حادثة هي الأولى من نوعها منذ وصول الرئيس أحمد الشرع إلى السلطة بعد الإطاحة بالرئيس السابق بشار الأسد، قُتل ثلاثة أميركيين السبت في تدمر (وسط)، في هجوم نسبته واشنطن ودمشق إلى تنظيم الدولة الإسلامية، من دون أن يتبناه الأخير.

ترامب يحضر مراسم إعادة جثامين ثلاثة أميركيين سقطوا في هجوم تدمر

وبحسب وزارة الداخلية، فإن منفذ الهجوم انضمّ في الأشهر الأخيرة إلى صفوف قوات الأمن، وكان من المقرر فصله بسبب حمله "أفكارا تكفيرية أو متطرفة".

وكان في عداد أكثر من خمسة آلاف شخص جُنّدوا في منطقة البادية حيث لا تزال هناك خلايا نائمة لتنظيم الدولة الإسلامية.

وبُعيد الإطاحة بالأسد حلّ الشرع جميع المؤسسات الأمنية والعسكرية السابقة، ونقل جهازه الأمني الصغير من إدلب إلى دمشق.

ورغم انقطاع هيئة تحرير الشام عن ماضيها الجهادي مع تسلمها السلطة، إلا أنه ما زال هناك، وفق مصدر أمني أوروبي، "متشددون بين المقاتلين.. قد يعارض بعضهم التحوّل من المسار العسكري إلى المسار السياسي".

ويشرح الباحث في الشأن الجهادي ضمن مجموعة الأزمات الدولية جيروم دريفون أن السلطات بدل "اعتماد عملية تدقيق صارمة" لمن يُجنّدون، لجأت إلى "تخفيف إجراءات التدقيق لتجنيد أكبر عدد من الأشخاص".

وبحسب دريفون يفسّر ذلك وجود بعض المجندين "الأكثر تطرفا، والمستعدين لقتال القوات الأميركية، بسبب معارضتهم قرار الحكومة التواصل مع الدول الغربية والانضمام إلى التحالف الدولي ضد تنظيم الدولة الإسلامية".

ويرى الباحث المختص في الشأن السوري نانار هواش في تقرير في مجموعة الأزمات الدولية أن "ما يثير القلق" هو أن منفذ الهجوم قد لا يكون الوحيد الذي يحمل تلك الأفكار.

ويشرح "بسبب عمل السلطات بسرعة كبيرة على دمج فصائل مسلّحة متفرّقة ضمن هياكل الدولة، جاءت عمليات التدقيق والدمج والرقابة غير متكافئة، ما جعل المؤسسات الأمنية السورية المُعاد تشكيلها عرضة للاختراق".

واستغلّ تنظيم الدولة الإسلامية الفوضى التي توفّرت بعد الإطاحة بالأسد "لتخرج عناصره من مخابئها في البادية وتستقر من جديد في شمال غرب البلاد وفي دمشق"، بهدف "زعزعة السلطة"، وفق المصدر الأمني الأوروبي.

ويشرح دريفون أن "هناك خطرا حقيقيا من تنظيم الدولة الإسلامية، ويتمثل في الطريقة التي يسعى بها إلى التمدّد داخل المدن، ومحاولاته التجنيد، واستغلال تدهور الأوضاع الاقتصادية".

ويضيف أن "هذا الخطر آخذ في التوسّع، إذ يعلن التنظيم مسؤوليته عن عدد متزايد من الهجمات".

وبعد الهجوم، وفي محاولة لاحتواء الموقف، أعلنت السلطات التي وجدت نفسها في موقف محرج عن شنّ عملية أمنية بالتعاون مع التحالف الدولي ضد الخلايا النائمة التابعة للتنظيم، بحسب وزارة الداخلية، مع توقيف أكثر من 11 عنصرا، بحسب مصدر أمني.

نانار هواش

منفذ الهجوم قد لا يكون الوحيد الذي يحمل أفكارا متطرفة

ويتعيّن على الحكومة حاليا، بحسب دريفون، أن "تكثّف جهودها في العمل الاستخباراتي" لتجنّب هجمات مماثلة.

ويضيف "لذلك هم يعملون على التجنيد وتحسين التدريب، وفي المرحلة المقبلة سيكثّفون جهودهم... بهدف رصد وجود متطرّفين، لا ينسجمون مع توجّه الحكومة".

ومنذ وصوله إلى السلطة حاول الشرع إعادة ترميم علاقة بلاده مع الغرب، لاسيما الولايات المتحدة، أملا في أن يفتح ذلك فرصا اقتصادية أمام سوريا التي أنهكتها سنوات الحرب.

وخلال زيارته إلى واشنطن في نوفمبر، انضمّت سوريا رسميا إلى التحالف الدولي الذي تأسّس عام 2014 بقيادة واشنطن لمكافحة التنظيم المتطرف، بعدما سيطر على مساحات شاسعة في العراق وسوريا قبل دحره تباعا من البلدين بين 2017 و2019.

وبُعيد الهجوم في تدمر تعهّد الرئيس الأميركي دونالد ترامب بالردّ، قائلا إن الهجوم نفذه تنظيم الدولة الإسلامية "في منطقة شديدة الخطورة في سوريا، لا تسيطر عليها تماما" الحكومة السورية.

ويزيد الهجوم الضغط على الشرع في حين أنه يرغب في فرض سلطته على كامل التراب السوري.

ويرجّح نانار هواش أن يدفع الهجوم واشنطن إلى التفكير في "إبلاء أهمية أكبر للعمل مع قوات سوريا الديمقراطية" التي تسيطر على مساحات واسعة في شمال شرق البلاد وتصدّت بشراسة للتنظيم الجهادي حتى دحره من آخر مناطق سيطرته.

العرب
الجمعة 2025/12/19
السنة 48 العدد 13689

تآكل الشرعية الأخلاقية بعد السياسية في إيران رغم صلابة القبضة الأمنية

طهران ما بعد القداسة: مجتمع بلا رواية رسمية

تراجع حضور ثورة 1979 بإيران في الشارع وتضاءل تأثيرها على الناس وخسرت قوتها الرمزية، والطقوس الرسمية للدولة باتت تعكس هذا التراجع الرمزي؛ فالاستعراضات الحكومية لم تعد تستقطب سوى أعداد محدودة، وغالبا ما تُنظم بضغط إداري.

تحولات عميقة في المجتمع الإيراني

طهران - تشهد إيران تحوّلا عميقا لا يمسّ مؤسساتها أو بنيتها القيادية بقدر ما يطال مجال رمزيتها ذاته. فالجمهورية الإسلامية، رغم استمرارها في بسط نفوذها عبر الأجهزة الأمنية وشبكاتها الإقليمية، لم تعد تملك السيطرة الكاملة على المجال الرمزي الذي شكّل لعقود أساس شرعيتها السياسية والأخلاقية.

وعلى مدى خمسة عشر عاما مضت عمل الإيرانيون بهدوء على بلورة نظام أخلاقي بديل لا يقوم على فكرة التضحية الثورية، بل على مفاهيم الكرامة، وحرية الجسد، والصدق، بما في ذلك الاعتراف العلني بضحايا الدولة.

ويرى الباحث مناحيم ميرهافي في تقرير نشرته مجلة "فورين بوليسي" أن هذا "الدين المدني" الشعبي بات اليوم يُشكك في جوهر العقيدة السياسية للجمهورية الإسلامية بفاعلية تفوق أي حزب معارض أو حركة منظمة.

ولم يكن هذا التحول وليد لحظة واحدة، بل تشكّل عبر صدمات متراكمة؛ من اغتيال ندى آغا سلطان خلال احتجاجات الحركة الخضراء عام 2009، وتحولها إلى "شهيدة" وطنية خارج إطار الدولة، إلى المجازر التي رافقت احتجاجات 2019 الاقتصادية، ثم إعدام المصارع نويد أفكاري عام 2020، الذي كشف استخفاف النظام بالضغطين الداخلي والدولي، وصولا إلى وفاة مهسا أميني في حجز الشرطة عام 2022.

ووسّعت هذه الأحداث المتعاقبة الفجوة بين الرواية المقدسة التي تروّج لها الدولة والواقع الاجتماعي. وبحلول عام 2022 الذي اندلعت فيه الاحتجاجات كانت الجمهورية الإسلامية قد فقدت، إلى حدّ بعيد، سلطتها العاطفية في تعريف من هو الشهيد، وما هو المقدس، وأي لغة أخلاقية يمكن أن توحّد الأمة.

ولم يختف هذا الشرخ الرمزي، بل تحوّل إلى أحد أبرز ملامح المشهد السياسي الإيراني. ورغم أنه لم يُسقط النظام، وربما لن يفعل ذلك قريبا، إلا أنه أعاد توجيه بوصلة المجتمع الأخلاقية بطرق يُرجّح أن ترسم ملامح مستقبل إيران السياسي.

وبعد ثورة 1979 رسّخ النظام سلطته عبر فكر سياسي يمزج بين سردية الشهادة الشيعية، وأسطورة الثورة، وإرث الحرب العراقية – الإيرانية. وأصبح الشهيد الشاب رمزا مركزيا للدولة، حاضرا في الجداريات والمناهج والفضاء العام بوصفه نموذجا مقدسا، نقيا، وخالد الشباب. وضمن هذا الإطار احتكرت الدولة تعريف المقدس، وفرضته على المجتمع.

غير أن مصداقية هذا البناء بدأت تتآكل منذ أواخر التسعينات، وتسارع ذلك خلال مطلع الألفية. وقد أدى الفساد، واتساع الفجوة الطبقية، والانفصال بين النخبة الثورية والمواطنين، إلى تفريغ الخطاب الأخلاقي الرسمي من مضمونه. ورفض جيل شاب، لا يحمل ذاكرة مباشرة عن الثورة أو الحرب، فكرة التضحية من أجل الجمهورية باعتبارها واجبا أخلاقيا.

وبرز هذا الانقسام بوضوح في احتجاجات 2009، حين واجهت الدولة المتظاهرين بالقمع التقليدي. لكن اغتيال آغا سلطان، المصوَّر بهاتف محمول والمنتشر عالميا خلال ساعات، كسر احتكار الدولة للرمزية، بعدما رفعها المحتجون إلى مرتبة "شهيدة الحرية" دون اعتراف من الدولة. وتلاشت بهذا احتكارات النظام لما يحدد القداسة.

وتعمّق الصراع على المعنى في السنوات التالية. ففي احتجاجات نوفمبر 2019، قُتل مئات المتظاهرين،الكثير منهم من الفئات الفقيرة والمهمشة. وخرجت أمهاتهم إلى العلن، مسجلات مقاطع تطالب بالعدالة، ناقلات الحداد من الخاص إلى العام خارج حدود المدن. ثم جاء إعدام أفكاري ليُنتج رمزا جديدا، حيث تحولت كلماته عن براءته إلى مرثية وطنية متداولة. فالمصارع الذي يُعتقد على نطاق واسع أنه تعرّض للتعذيب للاعتراف بقتل حارس أمن خلال احتجاجات 2018، انتشرت كلماته التي تقول "إذا أُعدمت، أريدكم أن تعلموا أن شخصا بريئا، رغم أنه حاول وحارب بكل قوته لكي يُسمع صوته، قد أُعدم".

وبحلول 2022 الذي شهد مقتل أميني، كان المجتمع الإيراني قد صاغ لغته الأخلاقية الخاصة. وتداخلت الأضرحة المؤقتة، ووقفات الشموع، وطقوس الحداد مثل قص الشعر، لتشكّل حركة "المرأة، الحياة، الحرية". ورغم تراجع الزخم الاحتجاجي، فإن هذه اللغة الأخلاقية تسللت إلى الحياة اليومية، مع استمرار ظهور النساء غير المحجبات في مدن كبرى، رغم تشديد الرقابة والقمع، وتجديد ما يُسمى بقوانين الحجاب.

ولا تزال عائلات ضحايا 2022 تنظم مراسم تأبين عامة، كثيرا ما تتحول إلى احتجاجات صغيرة. وعلى الرغم من محاولات قوات الأمن منعها أو اعتقال المشاركين فيها، بقيت مناسبات مثل الذكرى الأربعين وأعياد الميلاد وقراءات الشعر مساحات حيوية للتعبئة الأخلاقية. وفي الجامعات استمرت الفعاليات الرمزية، من التجمعات الصامتة إلى رفض الفصل بين الجنسين ونشر قصائد احتجاجية. وانتشرت، على وسائل التواصل الفارسية، مقاطع التحدي، معززة شعورا بمجتمع عابر للحدود يتقاسم معنى مشتركا.

وهكذا انتقلت المقاومة من الشارع إلى الحياة اليومية، بوصفها فعلا أخلاقيا دائما. ورغم استعادة الدولة سيطرتها المادية، فإنها لم تستعد سلطتها الرمزية.

ومنذ 2022 برزت ظاهرة العروض الموسيقية الشعبية ذات البعد السياسي في المدن الكبرى. وشملت تجمعات شبابية حول موسيقيين يؤدون أغانيَ رمزية مثل "براي" (من أجل) لشروين حاجي بو، أو يعيدون إحياء أعمال داريوش وغوغوش وفرهاد، إضافة إلى مراثٍ كردية وأغاني مغني الراب المسجون توماج صالحي. وغالبا ما تتخلّل هذه اللحظات العفوية، مع رفع الهواتف المضيئة وترديد الأغاني جماعيا.

واللافت أن الأصوات النسائية باتت حاضرة بقوة، في كسر واضح لقيود طالما فرضت على غناء النساء. ورغم تفريق بعض هذه الفعاليات أمنيا، فإنها تعود للظهور باستمرار، وهو ما يعبّر عن صمودها.

ولا يمكن اختزال ما يتبلور في إيران اليوم في كونه معارضة سياسية تقليدية للنظام، بل هو تشكّل إطار أخلاقي بديل يقوم على مبادئ واضحة ومتماسكة.

وفي قلب هذا الإطار تبرز أولا قيمة الكرامة، التي يصفها المحتجون بجوهر الحياة الأخلاقية، في انقلاب مباشر على سردية النظام التي طالما مجّدت التضحية بوصفها الفضيلة العليا.

وإلى جانب ذلك تبرز حرية الجسد بوصفها مبدأ أساسيا، حيث لم يعد يُنظر إلى الجسد على أنه أداة للانضباط الأيديولوجي، بل كمجال للملكية الأخلاقية الذاتية. وضمن هذا السياق تتحول ممارسات مثل قص الشعر وخلع الحجاب والدفاع عن السلامة الجسدية إلى تعبيرات طقوسية ذات معنى.

> القيادة الإيرانية ما عادت تملك السيطرة الكاملة على المجال الرمزي الذي شكّل لعقود أساس شرعيتها السياسية والأخلاقية والدينية

وأما المبدأ الثالث فهو الصدق، الذي اكتسب بعدا شبه مقدس، إذ تصرّ عائلات الضحايا على رواية تفاصيل القتل كما وقعت، في مواجهة ضغوط الدولة الرامية إلى فرض سرديات رسمية. ويستند هذا السلوك إلى تقليد أدبي وأخلاقي إيراني عريق، لكنه يُمارس اليوم بصفته طقسا مدنيا معاصرا.

وتتكامل هذه العناصر لتشكّل نزعة أخلاقية شعبية جديدة، تُعلي شأن التضامن الجماعي بدل التضحية والطاعة والنقاء الأيديولوجي. ورغم أن هذا الإطار لم يتحول بعد إلى برنامج سياسي متكامل، فإنه يتمتع بتماسك داخلي يجعله نظاما أخلاقيا قائما بذاته.

وتحتل المرأة موقعا محوريا في هذا النظام الأخلاقي المستجد، بما يقلب الهرمية الرمزية التي قامت عليها الجمهورية الإسلامية. فالوجوه الأكثر حضورا في المخيلة الأخلاقية الإيرانية المعاصرة هي نساء: ندى آغا سلطان عام 2009، وأمهات ضحايا احتجاجات 2019، والتلميذات والطالبات اللواتي خلعن الحجاب عام 2022، فضلا عن النساء اللواتي ما زلن يظهرن سافرات في الفضاء العام رغم المراقبة والتهديد والاعتقال.

وفي هذا السياق لا يُعدّ الحجاب الإلزامي مجرد لباس رسمي، بل يمثل حجر الزاوية الظاهر في نظام الدولة المقدس، ورمزا علنيا للخضوع للسلطة الدينية والسياسية.

وعندما تخلع النساء أحجبتهن، فإنهن لا يخرقن قاعدة إدارية فحسب، بل يقدمن طرحا أخلاقيا مضادا يؤكد أن الكرامة، لا الطاعة، هي المقدسة، وأن الجسد مصون ولا يجوز تحويله إلى أداة للسيطرة السياسية. ويجسد شعار "المرأة، الحياة، الحرية" هذا التحول، مؤسسا لتسلسل هرمي أخلاقي جديد.

وحتى الطقوس الرسمية للدولة باتت تعكس هذا التراجع الرمزي. فالاستعراضات الحكومية لم تعد تستقطب سوى أعداد محدودة، وغالبا ما تُنظم بضغط إداري.

وأما مراسم إحياء ذكرى الحرب، التي شكّلت في السابق لحظات تعبئة وجدانية واسعة، فتبدو اليوم روتينية وخالية من الزخم. كما باتت مواكب عاشوراء الكبرى تفصل بشكل متزايد بين التدين الشعبي والخطاب الدعائي الرسمي. وبهذا ينفصل العالم العاطفي الذي أسهم جزئيا في ترسيخ الجمهورية الإسلامية عن المؤسسات التي تزعم تمثيله.

وفي الأنظمة السياسية الهجينة كثيرا ما تحل السلطة الرمزية محل الشرعية الانتخابية، فتُستخدم لتبرير الإكراه وحشد الدعم والمطالبة بالتضحيات في أوقات الأزمات.

وقد مكّن هذا الرصيد الرمزي الدولة الإيرانية من الصمود أمام الحرب والانهيار الاقتصادي في الثمانينات. غير أن تآكله منذ عام 2009 يعني أن النظام بات عاجزا عن تعبئة المجتمع إلا عبر الإكراه أو المحسوبية، وهو تحول جوهري في روح الجمهورية الإسلامية.

وعندما يعيد المواطنون تعريف شهدائهم، ويعيدون تأويل الطقوس الدينية، ويبتكرون أشكالا جديدة من الحداد الجماعي، فإنهم يُقوّضون ادعاء الدولة بالسيادة الأخلاقية. وقد ينجو النظام من الضغوط الاقتصادية والعزلة الدولية، لكنه يواجه صعوبة متزايدة في الاستمرار في ظل فقدان مصداقيته الرمزية.

ولا تقتصر هذه الظاهرة على إيران وحدها. ففي أماكن متعددة من العالم لجأت المجتمعات إلى السياسة الرمزية والخطاب الأخلاقي لمواجهة الحكم الاستبدادي، من "جدران لينون" في هونغ كونغ خلال احتجاجات 2019، إلى النصب التذكارية العفوية التي انتشرت في بيلاروسيا بعد قمع عام 2020. وفي هذه الحركات اللامركزية غير الهرمية، حلّت الطقوس والحداد والسرديات المشتركة محل التنظيم السياسي التقليدي. وتمثل إيران أطول وأكثر الأمثلة رسوخا لهذه الظاهرة في الشرق الأوسط.

وما يميز الحالة الإيرانية هو عمق القطيعة الرمزية. فقد كانت رواية الجمهورية الإسلامية (الإسلام الثوري المشبع بثقافة الاستشهاد ومعاداة الإمبريالية) من أقوى البنى الأيديولوجية في المنطقة. ويكشف تراجعها أن حتى أكثر الأنظمة الرمزية تجذرا يمكن تحديها من القاعدة الشعبية.

وتتجاوز تداعيات هذا التحول الداخل الإيراني، فالهوية الدينية والذاكرة التاريخية لا تزالان من أبرز الأدوات المركزية في سياسات الشرق الأوسط. غير أن التجربة الإيرانية تُظهر أن فقدان الدولة السيطرة على الرموز يمكّن من إعادة توظيفها؛ فالرموز الشيعية لم تعد تُستخدم حصريا لدعم النظام، بل باتت تُستخدم أحيانا أداة لإدانته، كما انتشرت طقوس الحداد الكردية في مختلف أنحاء البلاد، وتحولت الملاحم الشعرية الفارسية إلى لغة احتجاج أخلاقي.

ويضيف الشتات الإيراني بُعدا إضافيا لهذا التحول. فقد ظهرت احتجاجات "المرأة، الحياة، الحرية" في مدن عالمية من تورنتو إلى سيدني، وهو ما يعكس وجود مجتمع فارسي عابر للحدود.

وشكّلت مسيرة برلين في أكتوبر 2022، التي شارك فيها عشرات الآلاف من الأشخاص، أحد أكبر تحركات الشتات منذ 1979. وقد انتشرت لغة الحركة الأخلاقية القائمة على الكرامة والحزن المشترك بوتيرة أسرع وأقوى من أية منصة سياسية رسمية.

وفي المقابل بدت الحكومات الأجنبية بطيئة في استيعاب هذا التحول الرمزي، حيث لا تزال تركز في مقاربتها لإيران على الملف النووي والعقوبات والوكلاء الإقليميين. غير أن التحول الأخلاقي الداخلي لا يقل أهمية، فالمجتمع الذي تجاوز أيديولوجية حكمه أخلاقيا وفكريا يتصرف بشكل مختلف داخليا وخارجيا، ما يستدعي فهم البيئة الأخلاقية المتغيرة لا مجرد حسابات القوة.

إن هذا لا يعني أن الجمهورية الإسلامية على وشك الانهيار. فهي لا تزال نظاما شبه استبدادي يمتلك جهازا أمنيا قويا وشبكات محسوبيات ونخبة قادرة على القمع. لكن فقدان السلطة الرمزية يمثل ضعفا أعمق لا يمكن للقمع وحده أن يعكسه.

ونشأ جيل إيراني كامل على مشاهد الاحتجاجات والجنازات والهتافات الليلية، وكوّن هذا خزّانا مشتركا للذاكرة والمعنى أعاد تشكيل مفهوم الشرعية. ولئن كان بإمكان الأنظمة تحمّل الأزمات المادية، فإن أزمات المعنى تكون أشد استعصاء. واليوم تحكم الدولة مجتمعا يتموضع مركزه الأخلاقي خارج إطارها الأيديولوجي.

وسيترك هذا التوتر أثره على مسار إيران في العقد المقبل. فحتى إن استمر النظام، فإنه سيحكم شعبا لم يعد يتبنى خطابه المقدس ولا يعترف بادعاءاته الأخلاقية، وهو ما سينعكس أيضا على فرص التفاوض الخارجي.

وغالبا ما يفترض المفاوضون الأجانب أن الحوافز الاقتصادية كفيلة بتغيير حسابات طهران. غير أن النخب الحاكمة، حين تشعر بضعفها الرمزي، تميل إلى التشدد لإظهار تماسكها الأيديولوجي.

وقد تُفاقم التسويات الدولية بذلك أزمة شرعيتها بدل حلها. وفي الوقت نفسه ينظر المجتمع الإيراني إلى الاتفاقيات الخارجية بوصفها تكتيكات لبقاء النظام لا إنجازات وطنية، وهو ما يحدّ من استدامتها السياسية.

وتتجلى أزمة الرمزية أيضا في سلوك النخب. فمحاولات حشد التأييد لبدلاء محتملين، سواء من رجال الدين أو التكنوقراط المتشددين، لم تلقَ نجاحا يُذكر. كما أن الخطاب الإعلامي القائم على مفردات التضحية والصمود والبطولة الثورية لم يعد يجد صدى لدى الشباب.

ونتيجة لذلك بات التركيز ينصبّ على الكفاءة المادية، مثل مكافحة الفساد وتحسين الإدارة الاقتصادية، بدل الشرعية الدينية.

وحتى المؤسسة الأمنية أعادت توجيه خطابها نحو مفاهيم النظام والاستقرار والكرامة الوطنية، مع تراجع واضح للغة الاستشهاد الثوري.

ومن الدلالات الأخرى على هذا التآكل المتدرّج تصاعد لجوء الدولة إلى الرموز ما قبل الإسلامية. فهذا التحول لا تُمْكن قراءته بوصفه إحياء عفويا للتراث الوطني، بل يبدو أقرب إلى خطوة إستراتيجية محسوبة.

> الفساد، واتساع الفجوة الطبقية، والانفصال بين النخبة والمواطنين، عناصر أدت إلى تفريغ الخطاب الرسمي من مضمونه

وعلى امتداد أربعة عقود، تعمّدت الجمهورية الإسلامية الابتعاد عن هذه الرموز، خشية أن تشكّل منافسا للرواية الرسمية التي أسّس عليها النظام شرعيته. غير أنّ هذا النهج بدأ يتغيّر، ولاسيما منذ عام 2022، حيث شرعت البلديات في عرض سلسلة من الأعمال الفنية العامة الضخمة المستوحاة من الأيقونات الإيرانية القديمة، وغالبا ما تزامن الكشف عنها مع فترات التوتر أو الصراع الإقليمي.

وقد بلغ تبنّي الدولة لأبطال العصور القديمة ذروته خلال العام الجاري، مدفوعا بحاجتها إلى تعبئة رمزية في مواجهة إسرائيل والولايات المتحدة، وبإدراك متزايد لمسألة أن شخصيات مثل قائد الحرس الثوري الإيراني الراحل قاسم سليماني لم تعد تحظى بالرصيد ذاته من التأييد الشعبي الذي تمتعت به سابقا.

ويُعدّ هذا الانعطاف المفاجئ نحو الزخارف الأخمينية والساسانية التقليدية (التي لطالما لاقت تقديرا واسعا لدى الجمهور، لكنها ظلت مهمّشة في الخطاب الرسمي) بمثابة اعتراف ضمني بحالة الإنهاك الأيديولوجي التي يعانيها النظام. فهو يعكس وعيا متزايدا بتراجع فاعلية الرمزية الثورية، ومحاولة لتعويض ذلك بالاستناد إلى مخزون ثقافي مشترك أوسع. ويشكّل هذا اللجوء إلى التراث ما قبل الإسلامي، في جوهره، تنازلا رمزيا واضحا؛ إقرارا بأن الجمهورية الإسلامية لم تعد صاحبة لغة مقدسة قادرة على توحيد الأمة وفق شروطها الخاصة.

العرب
الجمعة 2025/12/19
السنة 48 العدد 13689

بكين تبني «مانهاتن صينيّا» لمنافسة الغرب في رقائق الذكاء الاصطناعي

مهندسون سابقون من شركة أي.أس.أم.أل الهولندية أنجزوا بمساعدة هواوي نموذجًا أوليًا لآلة الطباعة الحجرية بالأشعة فوق البنفسجية القصوى

في خطوة تعكس طموحاتها التكنولوجية المتسارعة تمضي بكين في تنفيذ خطة محاطة بالكثير من السرية لبناء "مانهاتن صيني" ليكون مركزها لصناعة رقائق الذكاء الاصطناعي، في مسعى لمنافسة الغرب وتعزيز الاستقلال التقني. ويأتي هذا التوجه في ظل احتدام السباق العالمي على أشباه الموصلات، بوصفها حجر الأساس في اقتصاد المستقبل.

بكين - بنى علماء صينيون، في مختبر شديد الحراسة في شنتشن، ما سعت الولايات المتحدة لسنوات إلى منعه وهو نموذج أولي لآلة قادرة على إنتاج رقائق متطورة تشغّل الذكاء الاصطناعي والهواتف الذكية والأسلحة التي تُعدّ أساسية للهيمنة العسكرية الغربية.

واكتمل بناء النموذج الأولي في أوائل عام 2025، وهو يخضع حاليًا للاختبار، ويشغل مساحة تقارب مساحة أرضية مصنع كامل.

وقام ببنائه فريق من المهندسين السابقين في أي.أس.أم.أل، حيث أجروا هندسة عكسية لآلات الطباعة الحجرية بالأشعة فوق البنفسجية المتطرفة (إي.يو.في) التابعة لشركة أشباه الموصلات الهولندية العملاقة، وفقًا لمصدرين مطلعين على المشروع.

جيف كوتش

الصين تمتلك تقنية إي.يو.في تجاريًا، لذا لا تبدأ من الصفر

وتُعدّ إي.يو.في محورًا أساسيًا في حرب تكنولوجية. فهي تستخدم أشعة فوق بنفسجية متطرفة لنقش دوائر إلكترونية أرق بآلاف المرات من شعرة الإنسان على رقائق السيلكون، وهي قدرة يحتكرها الغرب حاليًا. وكلما صغرت الدوائر، زادت قوة الرقائق الإلكترونية.

وذكر المصدران لرويترز، لم تذكر هويتهما، أن الآلة الصينية تعمل بنجاح وتُنتج أشعة فوق بنفسجية متطرفة، لكنها لم تُنتج بعد رقائق إلكترونية عاملة.

وفي أبريل صرّح كريستوف فوكيه، الرئيس التنفيذي لشركة أي.أس.أم.أل، بأن الصين ستحتاج إلى "سنوات عديدة" لتطوير مثل هذه التقنية.

إلا أن وجود هذا النموذج الأولي، الذي نشرته رويترز لأول مرة، يُشير إلى أن الصين قد تكون أقرب بسنوات إلى تحقيق استقلالها في مجال أشباه الموصلات مما توقعه المحللون.

ومع ذلك، لا تزال الصين تواجه تحديات تقنية كبيرة، لاسيما في محاكاة أنظمة البصريات الدقيقة التي ينتجها الموردون الغربيون.

وقد أتاح توفر قطع غيار من آلات أي.أس.أم.أل القديمة في الأسواق الثانوية للصين بناء نموذج أولي محلي، حيث حددت الحكومة هدفًا لإنتاج رقائق عاملة على هذا النموذج بحلول عام 2028، وفقا لمصدرين.

لكن المقربين من المشروع يقولون إن هدفًا أكثر واقعية هو عام 2030، وهو ما زال قبل سنوات من العقد الذي اعتقد المحللون أنه سيستغرقه الأمر حتى تتمكن الصين من منافسة الغرب في مجال الرقائق. ولم ترد السلطات الصينية على طلبات التعليق.

ويمثل هذا الإنجاز تتويجًا لمبادرة حكومية استمرت ست سنوات لتحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال الرقائق، وهو إحدى أهم أولويات الرئيس شي جينبينغ. وبينما كانت أهداف الصين في هذا القطاع معلنة، تم تنفيذ مشروع شنتشن إي.يو.في سرًا، وفقًا للمصدرين.

ويندرج المشروع ضمن إستراتيجية البلاد لأشباه الموصلات، والتي حددتها وسائل الإعلام الرسمية بأنها تُدار من قبل دينغ شيويه شيانغ، المقرب من جينبينغ، والذي يرأس اللجنة المركزية للعلوم والتكنولوجيا التابعة للحزب الشيوعي.

وتلعب شركة هواوي الصينية العملاقة للإلكترونيات دورًا محوريًا في تنسيق شبكة من الشركات ومعاهد البحوث الحكومية في جميع أنحاء البلاد، تضم آلاف المهندسين، وفقًا لشخصين ومصدر ثالث.

ووصفت المصادر المشروع بأنه النسخة الصينية من مشروع مانهاتن الأميركي الذي أُطلق خلال الحرب لتطوير القنبلة الذرية.

وقال أحد المصادر "الهدف هو أن تتمكن الصين في نهاية المطاف من تصنيع رقائق متطورة على آلات صينية الصنع بالكامل. وتريد الصين إقصاء الولايات المتحدة تمامًا من سلاسل التوريد الخاصة بها".

وحتى الآن لم تتقن سوى شركة واحدة تقنية إي.يو.في وهي الشركة الهولندية، التي تعدّ آلاتها، البالغة تكلفتها 250 مليون دولار، ضرورية لتصنيع أحدث الرقائق التي صممتها شركات مثل إنفيديا وإي.أم.دي، وتنتجها شركات مثل تي.أس.أم.سي وإنتل وسامسونغ.

> **آلة إي.يو.في تخضع للاختبار، ولم تُنتج رقائق بعد، وتستهدف الحكومة الإنتاج عام 2028، لكن مصادر تُرجّح عام 2030**

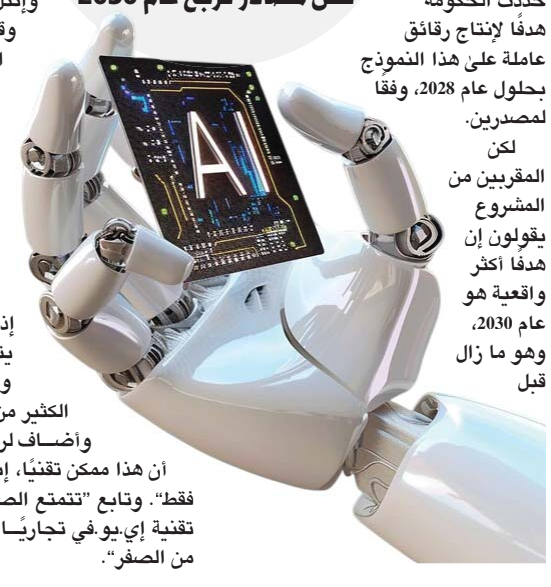

وقال جيف كوتش، المحلل في شركة الأبحاث سومي أناليستس والمهندس السابق في الشركة الهولندية، إن الصين ستحقق "تقدمًا ذا مغزى" إذا "مصدر الضوء يتمتع بقوة كافية، وموثوق، ولا يُولّد الكثير من التلوث".

وأضاف لرويترز "لا شك أن هذا ممكن تقنيًا، إنها مسألة وقت فقط". وتابع "تتمتع الصين بميزة وجود تقنية إي.يو.في تجاريًا، لذا فهي لا تبدأ من الصفر".

وبنت أي.أس.أم.أل أول نموذج أولي عملي لتقنية إي.يو.في عام 2001، وأبلغت رويترز بأنها استغرقت ما يقرب من عقدين وصرفت مليارات اليورو في الإنفاق على البحث والتطوير قبل أن تنتج أولى رقائقها المتاحة تجاريًا في عام 2019.

وقالت الشركة التي توفر أنظمتها لحلفاء الولايات المتحدة، بما في ذلك تايوان وكوريا الجنوبية واليابان، في بيان لرويترز "من المنطقي أن ترغب الشركات في محاكاة تقنيتنا، لكن القيام بذلك ليس بالأمر الهين".

وابتداءً من عام 2018 بدأت واشنطن بالضغط على هولندا لمنع أي.أس.أم.أل من بيع أنظمتها للصين وتوسعت هذه القيود في عام 2022، عندما فرضت إدارة جو بايدن ضوابط تصدير شاملة تهدف إلى قطع وصول الصين إلى تكنولوجيا أشباه الموصلات المتقدمة.

وأكدت أي.أس.أم.أل أنه لم يتم بيع تكنولوجيتها لأي زبون في الصين. ولم تقتصر هذه الإجراءات على أنظمة إي.يو. في فحسب، بل شملت أيضاً أجهزة دي.يو. في القديمة التي تنتج رقائق أقل تطوراً مثل رقائق هواوي، بهدف إبقاء بكين متأخرة بجيل كامل على الأقل.

وشددت الحكومة الأميركية الحالية تطبيق ضوابط التصدير على معدات تصنيع الرقائق المتقدمة، وتعمل مع شركائها على سدّ الثغرات مع تطور التكنولوجيا.

كما تعمل هولندا على وضع سياسات تلزم "المؤسسات المعرفية" بإجراء فحوصات أمنية للموظفين لمنع وصول "الأفراد ذوي النوايا السيئة أو المعرضين لخطر الضغط" إلى التكنولوجيا الحساسة.

وأفادت المصادر بأن قيود التصدير أبطأت تقدم الصين نحو الاكتفاء الذاتي في مجال الرقائق لسنوات، وقيدت إنتاج المتقدمة منها في هواوي.

وفوجئ مهندس صيني مخضرم من أي.أس.أم.أل، تم توظيفه في المشروع، عندما وجد أن مكافأة التوقيع السخية التي حصل عليها مصحوبة ببطاقة هوية صادرة باسم مزيف. وبمجرد دخوله تعرف على زملاء سابقين آخرين من الشركة الهولندية كانوا يعملون أيضاً.

وأكد مصدر أنهم كانوا يعملون بأسماء مستعارة، وأُمروا باستخدامها في العمل حفاظًا على السرية. وذكر مصدر آخر بشكل مستقل أن المجندين الجدد مُنحوا هويات مزورة لإخفاء هوياتهم عن باقي العاملين داخل المنشأة شديدة الحراسة.

وأوضح المصدران أن التوجيهات كانت واضحة، وهي أنه نظرًا لتصنيف المنشأة ضمن الأمن القومي، لا يمكن لأحد خارج المجمع معرفة ما يبنونه، أو حتى وجودهم هناك.

ويضم الفريق مهندسين وعلماء سابقين في أي.أس.أم.أل، من أصل صيني متقاعدين حديثًا، وهم هدف رئيسي للتوظيف نظرًا لامتلاكهم معرفة تقنية حساسة، فضلاً عن مواجهتهم قيودًا مهنية أقل بعد مغادرة الشركة، وفقًا لمصادر مطلعة.

وأبلغ اثنان من موظفي أي.أس.أم.أل الحاليين، من أصل صيني، في هولندا، رويترز بأنهما تلقيا عروض توظيف من هواوي منذ عام 2020 على الأقل.

وتحد قوانين الخصوصية الأوروبية قدرة الشركة الهولندية على تتبع موظفيها السابقين. ورغم توقيع الموظفين على اتفاقيات عدم إفصاح، إلا أن إنفاذها عبر الحدود أثبت صعوبته.

خبراء أي.أس.أم.أل ساهموا في تحقيق مشروع شنتشن، فبدونهم من المستحيل هندسة الأجهزة

وفي عام 2019 ربحت حكمًا بقيمة 845 مليون دولار ضد مهندس صيني سابق متهم بسرقة أسرار تجارية، لكن المدعى عليه أعلن إفلاسه ويواصل العمل في بكين بدعم من الحكومة الصينية، وفقًا لوثائق المحكمة.

وأكدت أي.أس.أم.أل لرويترز أنها "تحمي بحرص" الأسرار التجارية والمعلومات السرية. ورغم أنها لا تتحكم في أماكن عمل الموظفين السابقين إلا أنهم ملزمون ببنود السرية في عقودهم، وأنها "اتخذت إجراءات قانونية ناجحة" رداً على سرقة الأسرار التجارية.

ولم تتمكن رويترز من تحديد ما إذا كانت قد اتُخذت أي إجراءات قانونية ضد موظفين سابقين في الشركة الهولندية متورطين في برنامج الطباعة الحجرية الصيني.

وتقول الشركة إنها تحمي معلومات تقنية إي.يو.في من خلال ضمان وصول موظفين محددين فقط إلى هذه المعلومات حتى داخل الشركة.

وأفاد مصدر مطلع بأن خبراء أي.أس. أم.أل هم من ساهموا في تحقيق هذا الإنجاز في شنتشن، فبدون معرفتهم الدقيقة بالتكنولوجيا من شبه المستحيل إعادة هندسة الأجهزة.

وكان تجنيدهم جزءًا من حملة مكثفة أطلقتها الصين عام 2019 لاستقطاب خبراء الرقائق العاملين في الخارج، حيث عرضت مكافآت توقيع تتراوح بين 3 و5 ملايين يوان (ما يتراوح بين 420 و700 ألف دولار) ودعمًا لشراء المنازل، وفقًا لمراجعة أجرتها رويترز لوثائق السياسة الحكومية.

ومن بين المجندين لين نان، الرئيس السابق لقسم تكنولوجيا مصادر الضوء في الشركة الهولندية، والذي قدم فريقه في معهد شنغهاي للبصريات التابع للأكاديمية الصينية للعلوم ثماني براءات اختراع لمصادر ضوء الأشعة فوق البنفسجية القصوى خلال 18 شهرًا، وفقًا لملفات براءات الاختراع.

وأفاد شخصان آخران مطلعان على جهود التجنيد الصينية بأن بعض المواطنين المجنسين من دول أخرى مُنحوا جوازات سفر صينية وسُمح لهم بالاحتفاظ بجنسية مزدوجة.

المغرب أمام حتمية مراجعة السياسة الزراعية لضمان الأمن المائي

أمام تنامي الضغوط المناخية وتراجع الموارد المائية، يجد المغرب نفسه أمام حتمية مراجعة سياسته الزراعية بما ينسجم مع متطلبات احتياجات المياه والاستدامة البيئية عبر إعادة النظر في أنماط الإنتاج وآليات الحوكمة، بما يوازن بين تحقيق الأمن الغذائي والحفاظ على مورد حيوي بات أكثر ندرة وحساسية.

محمد ماموني العلوي

الرباط - سلط تقرير نشر مؤخرا الضوء على أهمية مراجعة المغرب لسياساته الزراعية لضمان الأمن المائي باعتبار أن القطاع حيوي للبلاد، حيث يسهم بشكل كبير في الناتج المحلي الإجمالي ويوفر فرص عمل كثيرة.

وأصدر المركز الأفريقي للدراسات الإستراتيجية والرقمنة تقريرا حول مخطط المغرب الأخضر وإستراتيجية الجيل الأخضر، مركزا على التحديات البيئية العميقة التي تواجه الزراعة، وعلى رأسها الإجهاد المائي وتأثيرات التغيرات المناخية.

ويقدّم التقرير الذي أعده فريق عمل مكون من الخبير الاقتصادي رشيد ساري والمهندس الزراعي عبدالرحيم نوري رؤية شاملة حول الاختلالات الهيكلية للسياسات الزراعية، مع توصيات إصلاحية تهدف إلى ضمان استدامة القطاع في المستقبل.

وأثار الباحثون تساؤلات حول التوازن بين تحقيق أهداف التنمية في القطاع وضمان الاستدامة البيئية والحفاظ على الموارد المائية، بدءاً من سياسة السدود، مرورا بالمخطط الأخضر، وصولاً إلى إستراتيجية الجيل الأخضر 2020 – 2030.

وأشاروا في ورقتهم البحثية التي اطلعت عليها "العرب" إلى التقاطعات المحورية بين الطموح التنموي وإكراهات التغيرات المناخية.

واستعرض التقرير حجم المنجزات التي حققها المخطط الأخضر منذ انطلاقه عام 2008، حيث تم ضخ استثمارات إجمالية ناهزت العشرة مليارات دولار حتى 2018، ما مكن من تحقيق متوسط نمو سنوي للناتج الإجمالي الزراعي بنسبة 4.7 في المئة.

كما نجح القطاع في توليد ديناميكية تشغيلية هامة، إذ وفر 965 ألف فرصة عمل بين 2018 و2023. وعلى مستوى البنية التحتية، تم توسيع المساحات المروية بنظام الري بالتنقيط بشكل لافت.

وتشير الأرقام إلى توسع المساحات من 210 ألف هكتار عام 2008 إلى 600 ألف هكتار عام 2018، ما ساهم في تسجيل الصادرات الفلاحية والغذائية رقما قياسيا بلغ 1.3 مليون طن خلال موسم 2018 – 2019.

> **التوسع في الزراعات التصديرية ذات القيمة العالية، كالأفوكادو، شكل ضغطاً متزايداً على موارد المياه**

ورغم هذه المكتسبات الملموسة، نبهت الدراسة إلى التحديات الهيكلية التي تواجه استدامة القطاع، وفي مقدمتها إشكالية المياه الافتراضية وتصدير المنتجات المستهلكة للماء في ظل وضعية شح الموارد.

وأوضحت البيانات أن التوسع في الزراعات التصديرية ذات القيمة المضافة العالية، مثل الأفوكادو والبطيخ الأحمر والحوامض، شكل ضغطاً متزايداً على الموارد المائية.

ويستهلك الهكتار الواحد من الأفوكادو 8 آلاف متر مكعب سنوياً، وتصل بصمته الافتراضية إلى ألف لتر لكل كيلوغرام، بينما تستهلك زراعة البطيخ الأحمر ما بين 3800 و4300 متر مكعب للهكتار، وتتركز في مناطق تعاني أصلاً من نقص الماء مثل زاكورة.

وهذا التوجه نحو الزراعات كثيفة الاستهلاك للمياه ساهم، بحسب التقرير، في استنزاف الطبقة الباطنية بمناطق مثل سوس – ماسة والحوز، حيث تجاوز معدل الاستغلال قدرة الطبقات المائية على التجدد الطبيعي.

وتنعكس هذه الوضعية على الأمن المائي العام، حيث انخفض نصيب الفرد بشكل حاد من 2500 متر مكعب في الستينات إلى أقل من 500 متر مكعب حاليا، ما يضع المملكة أمام تحدي "الفقر المائي المطلق".

ثمة تساؤلات حول التوازن بين تحقيق أهداف الزراعة وضمان الاستدامة البيئية والموارد المائية

كما أشارت الدراسة إلى التداعيات الاجتماعية لهذا الوضع على سكان الأرياف، وتأثيره في تنامي ظاهرة الهجرة نحو المدن.

ويبدي المغرب اهتماما كبيرا بتطوير القطاع من خلال إطلاق مبادرات، إذ تطرق التقرير إلى مسألة الأمن الغذائي وعلاقته بتقلبات الإنتاج والاعتماد على الاستيراد.

ورغم التطور الحاصل لا يزال إنتاج الحبوب خاضعاً لتقلبات الظروف المناخية، حيث تظهر الأرقام تبايناً واضحاً بين موسم استثنائي مثل 2013 الذي سجل إنتاج 9.7 مليون طن، ومواسم الجفاف مثل 2020 حيث انخفض الإنتاج إلى 3.2 مليون طن.

وتشير التوقعات إلى احتمال وصول واردات الحبوب إلى مستوى قياسي يناهز 10.5 مليون طن في موسم 2025 – 2026، وهو ما دفع معدي الورقة للتأكيد على ضرورة الموازنة بين الزراعات التصديرية والزراعات الأساسية لتعزيز السيادة الغذائية.

ولهذا يورد التقرير أن نجاح مخطط المغرب الأخضر والجيل الأخضر يقاس بقدرة هذه السياسات على حماية الأرض والمياه وتأمين مستقبل المزارعين والمستهلكين على حد سواء، في مواجهة جفاف متزايد وتغيرات مناخية قد تصبح حادة أكثر في السنوات القادمة.

وعلى مستوى الحوكمة دعا خبراء المركز إلى تقييم أعمق لآليات الدعم المالي، مشددين على الحاجة إلى المزيد من الفاعلية والشفافية في تدبير صناديق الدعم لضمان وصولها إلى الفئات المستهدفة، وتقليل الفوارق بين الزراعة العصرية الكبرى والزراعة التضامنية الصغرى.

وأكد ساري ونوري أن إستراتيجية الجيل الأخضر جاءت لتدارك هذه الجوانب بوضع العنصر البشري في صلب اهتماماتها، مستهدفة تمكين 400 ألف أسرة من الولوج إلى الطبقة الوسطى الفلاحية، وتوفير 350 ألف فرصة عمل للشباب، مع تعزيز الحماية الاجتماعية.

لا مفر من إعادة هندسة عمليات الإنتاج

بوب مارلي ممنوع في الكويت لتورطه في ترويج المخدرات

نقاشات واسعة بين الجمهور حول حدود الحرية الشخصية مقابل الحماية المجتمعية

حظر القانون الكويتي عرض رموز أو صور تمجد المخدرات على الملابس والإكسسوارات، مع تركيز النقاش على صور بوب مارلي المرتبطة بالماريغوانا يثير جدلا واسعا على مواقع التواصل الاجتماعي.

الكويت - أثارت تحذيرات أصدرتها وزارة الداخلية الكويتية كجزء من حملتها الوطنية لمكافحة المخدرات "نحمي وطن"، والتي تستهدف أي مواد مرئية أو مكتوبة تروج للمخدرات أو تمجدها، جدلا واسعا على مواقع التواصل الاجتماعي.

ودخل القانون رقم 159 لعام 2025 لمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية حيز التنفيذ في 15 ديسمبر 2025، وهو قانون شامل يهدف إلى تشديد العقوبات وتوسيع نطاق التجريم ليشمل الترويج بأي شكل من الأشكال.

ويشمل المنع ارتداء أو استخدام أو عرض أي سلع أو مطبوعات أو ملابس أو إكسسوارات تحمل صورا أو رموزا أو كتابات أو شعارات "تحرض أو تمجد تعاطي المخدرات وجرائمها".

> معلقون تساءلوا عن قيمة حظر صور بوب مارلي في الوقت الذي تنتشر فيه مشاهد تعاطي المخدرات على التطبيقات

ورغم أن الحظر لا يستهدف المغني الجامايكي الراحل بوب مارلي بالاسم، إلا أن الجدل دار حوله. ويرتبط بوب مارلي كثيرا بالإجراءات الجديدة، حيث يُنظر إلى صورته في بعض السياقات كرمز مرتبط بثقافة الماريغوانا، نظرا لانتمائه إلى حركة الراستافاري التي تعتبر هذه المادة جزءا من طقوسها الدينية والروحية.

وبصرف النظر عن أن مارلي يُعتبر عالميا أيقونة لموسيقى الريغي ورمزاً للحرية والسلام والعدالة الاجتماعية، فإن بعض الملابس والإكسسوارات التي تحمل صورته أو شعاراته غالباً ما تُستخدم في سياقات تروج لتعاطي المخدرات، وهو ما جعلها تدخل ضمن نطاق التحذير الكويتي.

ومثل هذا التصنيف ليس جديداً في دول محافظة، حيث تُفسر هذه الرموز كدعاية غير مباشرة للمواد المحظورة، خاصة في ظل حملة تهدف إلى حماية الشباب من أي تأثيرات إعلامية أو ثقافية قد تحض على تعاطي المواد المحظورة. وقد انتشرت التحذيرات عبر حسابات رسمية لوزارة الداخلية على منصات التواصل، وهو ما أثار نقاشات واسعة بين الجمهور حول حدود الحرية الشخصية مقابل الحماية المجتمعية.

ويواجه المخالفون الذين يرتدون أو يعرضون هذه الرموز غرامات مالية قد تصل إلى 500 دينار كويتي. وينص القانون الجديد أيضاً على إمكانية سجن الأفراد الذين يتواجدون بصحبة متعاطي المخدرات لمدة تصل إلى ثلاث سنوات، حتى لو لم يثبت تعاطيهم شخصياً للمواد المخدرة.

وتهدف الحملة إلى حماية المجتمع الكويتي من مخاطر المخدرات وتعزيز الأمن العام والأخلاق.

وتخيلت مستخدمة حوارا في السجن جاء فيه:

@lolwalhussinan

#«قريباً في الكويت حوار من السجن المركزي»
: شنو مسوي شنو جريمتك ؟
: أحب بوب مارلي

واعتبر حساب أن هناك أشياء أهم يجب أن تهتم بها الحكومة في الكويت:

@amar_aqar

#بوب مارلي في سماء الكويت جميل جداً حرص الحكومة وجهودها في حماية الشعب من آفة المخدرات التي تقضي على حياة البشر، تدمر المجتمع، وتكلف الدولة اموال طائلة. خسائر لا تعوّض. وقد بلغ حرصها وتدقيقها الى الأخذ بعين الاعتبار رموز وصور المتعاطين أمثال مغني الرّيجي الكاريبي بوب مارلي لدعم الحلول الحاسمة. هناك أمور في الكويت نعتقد لا تقل آثارها وخسائرها من المخدرات تمس كل الشعب، كل لحظة، كل ساعة، كل يوم واسبوع وشهر على مدى سنين عجاف، لكنها لم تحظى بذات العنفوان فالحسم.

وتساءل معلقون عن قيمة حظر صور بوب مارلي في الوقت الذي تنتشر فيه مشاهد تعاطي المخدرات على منصة نتفليكس وغيرها من التطبيقات المتاحة للشباب في الكويت. وفي هذا السياق كتب معلق:

@MALMUHAREB

#واذا اغنية لبوب مارلي ..يا سعادة المستشار خفف من نفخة النفس.. نيتفليكس وغيره من الافلام كلها فيها لقطات عن المخدرات..يعني إذا قهوة عارض فيلم وفيه تعاطي اعدام ! اكيد هذه الكويت؟ اتوقع بعد محاضرة المستشار لازم القانون يطلع بهذا الوضع المزري..

يذكر أن الكويت سبق أن طالبت نتفليكس بحذف محتويات تخالف القيم الإسلامية والمجتمعية (خاصة تلك المتعلقة بالترويج للمثلية أو العنف الجنسي)، وقد تم حذف بعضها فعليا، لكن المحتوى الدرامي الذي يصور المخدرات كجزء من قصة غالبا ما يبقى متاحا لأنه يُصنف كترفيه فني، ويصعب حظره كليا بسبب طبيعة الإنترنت العابرة للحدود. هذا التناقض الظاهري يأتي من صعوبة السيطرة الكاملة على المنصات الدولية مقارنة بالرموز المحلية الملموسة مثل الملابس أو الإكسسوارات، التي تُمكن مراقبتها مباشرة في الأسواق والشوارع. ووجه معلق نصيحة:

@q8i_cyber

#بوب مارلي والريغي و قيراب ستانداب صار فيها سجن!!
سعادة المستشار نصيحة لا يشوفك جمايكي تفتر بلندن..!

وأطلقت وزارة الداخلية حملة وطنية تحت شعار "نحمي وطن"، تهدف إلى تعزيز الوعي المجتمعي بمخاطر المخدرات وتعريف الجمهور بمواد القانون الجديد، من خلال معارض ميدانية وإعلانات عبر المنصات الرقمية والإعلام.

وتشهد دولة الكويت تحديات متزايدة في مواجهة انتشار المخدرات والمؤثرات العقلية، حيث أصبحت البلاد تواجه شبكات تهريب دولية معقدة تستغل المنافذ الجوية والبحرية لإدخال مواد مثل الحشيش والشبو والكيميكال وحبوب اللاريكا والكبتاغون. ومع ذلك، تبذل السلطات جهودا مكثفة ومتواصلة لمكافحة هذه الآفة، من خلال عمليات أمنية استباقية أسفرت في عام 2025 عن ضبط أكثر من 2858 قضية مخدرات شملت الآلاف من المتهمين، بالإضافة إلى حجز كميات كبيرة تصل إلى أكثر من طنين من المواد المخدرة وملايين الحبوب المؤثرة عقليا.

وتؤكد وزارة الداخلية، ممثلة في الإدارة العامة لمكافحة المخدرات، على أن هذه الجهود تهدف إلى حماية المجتمع، خاصة فئة الشباب، من مخاطر الإدمان على المواد المحظورة، والذي يرتبط بنسبة عالية من الجرائم.

بدأ المنع بتوقيت الكويت

كيف تُستغل قضية الصحراء المغربية كأداة في حرب إعلامية

الرباط - قالت لطيفة أخرباش، رئيسة الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري (الهاكا) في المغرب، إن انتشار الأخبار الزائفة يعكس اضطرابات بنيوية في المنظومة الإعلامية، داعية إلى فهم شامل للمخاطر الإعلامية لمواجهة التضليل بشكل مستدام.

وأضافت أخرباش خلال الجلسة الافتتاحية للقاء نظمته وزارة الشباب والثقافة والتواصل حول «محاربة الأخبار الزائفة.. رؤى متقاطعة»، أن التضليل يمس بحق المواطنين في الوصول إلى منظومة إعلامية موثوقة، كما هو مكرس في الدستور المغربي والمعايير الدولية لحرية الرأي والتعبير.

وأشارت إلى أن المغرب يواجه تحولاً سريعاً في ممارسات التضليل، مع تنوع المجالات المستهدفة والأساليب والمصادر. واستشهدت بأمثلة مثل الشائعات خلال جائحة كوفيد19-، وورقة تصويت مفبركة في انتخابات 2021، وبلاغات رسمية مزيفة، إضافة إلى أخبار زائفة مرتبطة بزلزال الحوز.

كما ذكرت أن قضية الصحراء المغربية تُستخدم في حرب إعلامية ضد البلاد، من خلال إحصائيات مزيفة وخرائط محرفة ومواقف منسوبة زوراً إلى جهات وطنية أو دولية، مع سرديات تعتمد على الإثارة العاطفية وتضخيمها عبر حسابات مجهولة على الإنترنت.

وقالت أخرباش إن رقمنة الفضاء الإعلامي غيرت قدرة التضليل على الإضرار، مشيرة إلى أن التكنولوجيا الرقمية قلصت تكلفة الإنتاج وخفضت الحاجز المعرفي لتلقيه. وانتقل مركز الثقل في الفضاء التواصلي من الإعلام المهني المنظم إلى منصات رقمية تهيمن عليها مصالح تجارية خاصة.

واستندت إلى إحصائيات الوكالة الوطنية لتقنين المواصلات، التي أظهرت أن التلفزيون يظل مصدراً رئيسياً للأخبار بنسبة 66 في المئة، تليه شبكات التواصل الاجتماعي بنسبة 26 في المئة، ثم الصحافة الإلكترونية بنحو 4 في المئة والورقية والإذاعة بنحو 1 في المئة.

كما استشهدت بنسخة 2025 من تقرير معهد رويترز للأخبار الرقمية، الذي أشار إلى أن أكثر من 70 في المئة من مستخدمي الإنترنت المغاربة يلجأون إلى المنصات الرقمية للأخبار، مع سيطرة يوتيوب وفيسبوك

وأكدت أن تراجع دور الصحافة المهنية يزيد من تعرض الجمهور للتضليل ويحرمه من ضمانات مثل التحقق من الوقائع وترتيب الأخبار حسب أهميتها.وحذرت من التطور السريع للذكاء الاصطناعي في غياب إطار قانوني كاف، قائلة إنه يزيد من هشاشة المنظومة الإعلامية. ودعت إلى تقنين الاستخدامات وتعزيز التوعية الجماعية بمخاطرها للحد من تفاقم التضليل.

لطيفة أخرباش

المغرب يواجه تحولا سريعا في ممارسات التضليل

في السياق نفسه، أجمع إعلاميون وخبراء مشاركون في اللقاء على ضرورة إمداد الصحفيين بالمعلومات الرسمية بسرعة لدحض الأخبار الزائفة، محذرين من أن التأخير في التواصل الرسمي يساهم في انتشارها.

وقال جامع كلحسن، رئيس تحرير ومعد برامج بالقناة الثانية، إن دحض الخبر الزائف يتطلب توفير المعلومة الصحيحة فوراً من الجهات المعنية، مضيفاً أن استمرار الإقبال على الإعلام التقليدي في الأحداث الكبرى يفرض على الصحفيين التكيف عبر التكوين المستمر.

من جهته، دعا نصر الدين العفريت، مسير موقع «ميديا24»، إلى تقنين نشاط «المؤثرين» على شبكات التواصل، بما في ذلك وضع تعريف قانوني وإلزام بالإفصاح عن المحتوى المدفوع، لحماية المستهلكين والقاصرين، مستلهماً معايير الاتحاد الأوروبي.

أما نوفل الرغاي، المدير العام لإذاعة «شدى»، فقد أبرز مخاطر «عمق التزييف» الذي ينتجه الذكاء الاصطناعي، مشيداً بدور وكالة المغرب العربي للأنباء في رصد الأخبار الزائفة.

نجاحات مغربية

برنامج «ذا دايلي شو» شاهد على التاريخ الذي يعيد نفسه: ما يحدث لفنزويلا أشبه بما حدث للعراق

واشنطن - خصص الإعلامي الأميركي جون ستيوارت جزءاً كبيراً من المونولوغ في برنامجه «ذا دايلي شو» لمقارنة التصعيد العسكري الأميركي الحالي تجاه فنزويلا تحت إدارة الرئيس دونالد ترامب بما حدث قبل غزو العراق عام 2003، مشيراً إلى أن «التاريخ يعيد نفسه بشكل مخيف»، وأن الأمر يشبه «عودة إلى عام 2003».

يأتي هذا التصعيد في ظل اتهامات ترامب للرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو بـ«الإرهاب المخدري»، وتصنيف الفنتانيل كـ«سلاح دمار شامل»، مع نشر قوات بحرية أميركية قبالة سواحل فنزويلا، وضربات على سفن نفطية، وحديث عن تغيير نظام محتمل للوصول إلى احتياطيات النفط.

وعرض ستيوارت مقاطع تعود إلى مذيعين من تيار المحافظين يؤكدون على أن التدخل ضد فنزويلا لا يشبه العراق، قائلا «هل تمزحون معي؟ هل لديكم الجرأة لتخبرونا أن ذريعة العراق كانت هراء، وأن الحرب كانت خطأ، وأننا لسنا كذلك، وأن فنزويلا تمتلك أسلحة دمار شامل وعلينا إيقافها؟».

وبين التقرير، أن ستيوارت وبينما كان يتطرق إلى جوانب الشبه بين الخطاب السائد وقتها وحاليا، لافتا إلى خطاب وزير الدفاع الأسبق دونالد رامسفيلد الذي اتهم صدام حسين بانه كان يؤوي شبكات ارهابية ويعمل معها، قال ستيوارت مازحا «آه، شبكات إرهابية.. إنها أسوأ أنواع الشبكات، بما في ذلك شبكة باراماونت بيكتشرز، إنها أسوأ أنواع الشبكات».

ونقل التقرير، عن ستيوارت قوله ممازحا وهو يدعي التعاطف: «اعتقد أن الجانب الأكثر حزنا في خوض حرب اختيارية لعام 2025 هو أن ديك تشيني لن يكون موجودا ليشهدها.. العزاء الوحيد هو أنني متأكد من أنه ينظر إلينا الآن وهو فخور جدا».

وفي معرض رده على المخاوف من أن السياسة الأميركية إزاء فنزويلا تمثل خدعة لتغيير النظام والسيطرة على احتياطيات النفط الغنية، قال ستيورات «كما تعلمون، لم أكن أعتقد أن هذه الحرب كانت قرارا حكيما، ولكن قد تساعد شركات النفط على الابتسام مجددا».

وتابع ستيورات قائلاً «ألا تفهمون؟ السياسة الخارجية الأميركية الجديدة هي ببساطة: لا تقتلوا الناس هناك (الشرق الاوسط).. اقتلوهم هنا (في أميركا الجنوبية)، في منطقتكم الزمنية. انها نصيحة كلاسيكية: تبرزّوا حيث تأكلون.. هذه هي عقيدة ترمب الجديدة».

وختم بالقول «لا يتعلق الأمر بأي حال من الأحوال بالديمقراطيات المستقرة، بل بمناطق النفوذ، حيث يمكن لروسيا أن يكون لها مجال نفوذها، بما يتضمن أوكرانيا، ويمكن للصين أن يكون لها مجال نفوذها، وربما في تايوان، ونحصل نحن على أميركا الجنوبية. لم تعد أميركا المدينة المتألقة على التل. أنها مجرد واحدة من خمس عائلات عصابات الإجرام التي تتقاسم المناطق».

واستخدم ستيوارت مقاطع أرشيفية قديمة من البرنامج نفسه في عصر الرئيس جورج بوش، مقارناً إياها بتصريحات حديثة من قنوات إعلامية محافظة تدعم ترامب، ليظهر التكرار الحرفي في الدعاية الحربية. وسخر من التناقض في موقف أنصار ترامب الذين ينتقدون حرب العراق كخطأ، لكنهم يدعمون الآن تبريرات مشابهة تماماً لفنزويلا، قائلاً بسخرية إن «أحزن جزء في دخول حرب اختيارية في 2025 هو أن ديك تشيني لن يكون موجوداً ليراها».

وأضاف البرنامج لمسة درامية كوميدية عندما اقتحم الممثل السابق في البرنامج روب كورددري المسرح متنكراً كشخصية مارتي ماكفلاي من فيلم «باك تو ذا فيوتشر»، قادماً من عام 2003 ليحذر من «كارثة» حرب العراق، ليكتشف أن الخطأ يتكرر في 2025.

وقال ستيوارت بسخرية «إذا كنتم ستعيدون سياسة الجيوسياسية من أوائل الألفية، فسأضطر لإعادة مقاطع ذا دايلي شو القديمة... كل الأسباب الزائفة التي استخدمناها لتبرير كارثة العراق، يستخدمها نظام ترامب لتبرير التدخل الآن لتبرير حرب في فنزويلا».

العراق أم فنزويلا

العرب
الجمعة 2025/12/19
السنة 48 العدد 13689

هل مازال سلاح حماس قادرا على التأثير في معادلة الصراع؟

فاضل المناصفة
كاتب فلسطيني

عاد ملف نزع سلاح حماس ليتصدر النقاش السياسي، مع ترجيحات بأن يكون بندًا رئيسيًا في أجندة اللقاء المرتقب بين بنيامين نتنياهو ودونالد ترامب ضمن مقاربة أوسع لمستقبل غزة. في المقابل ترتفع الأصوات داخل حماس ومحور المقاومة بمواقف رافضة لهذا الطرح باعتباره تجاوزًا لحق مشروع بموجب القانون الدولي، لكن السؤال الذي يطرح نفسه وسط فوضى التصريحات والأحداث المتسارعة هو: هل بقيت لسلاح المقاومة القدرة على تحقيق الردع والتوازن الذي كان عليه الوضع ما قبل السابع من أكتوبر؟

عملية السابع من أكتوبر أفرزت واقعا مختلفا عما سبقها لا على مستوى قطاع غزة وحده بل على مستوى الإقليم ككل، فقد تغيرت قواعد الاشتباك واتسعت دائرة التداعيات السياسية والأمنية

بعيدًا عن الجدل النظري حول مشروعية سلاح المقاومة ودوره المعلن في معادلة الصراع، يفرض الواقع سؤالًا أكثر مباشرة: ماذا راكم هذا السلاح فعليًا خلال السنوات الماضية؟ وهل نجح في تعديل قواعد الاشتباك، أو في فرض كلفة سياسية وأمنية مستدامة على إسرائيل أم أنه بقي في حدود فعل رمزي يعبّر عن الرفض أكثر مما يغيّر موازين القوة؟

لا يمكن تجاهل أن نتائج المواجهات المتكررة انعكست في كثير من الأحيان على الفلسطينيين أنفسهم، سواء من حيث الخسائر البشرية أو تآكل القدرة على الاحتمال في مجتمع يعيش أصلًا تحت ضغط الحصار والحرب. وهو ما يفتح باب التساؤل عمّا إذا كان هذا السلاح قد شكّل أداة ردع حقيقية، أم أنه أسهم، من حيث النتيجة، في تعميق كلفة الصراع على الطرف الأضعف فيه.

بعض المقاربات تصف القدرات العسكرية لحماس بأنها لا تزال قابلة لإعادة قلب موازين الصراع، حتى بعد المواجهة التي بدأت في السابع من أكتوبر، غير أن متابعة مجريات الحرب خلال الأشهر الماضية تطرح سؤالًا أكثر تحديدًا: ما الذي تبقّى فعليًا من هذه القدرات، وكيف بدت وظيفتها على أرض الميدان؟

باستثناء عملية السابع من أكتوبر، التي شكّلت ذروة غير مسبوقة في تاريخ المقاومة من حيث التخطيط والتنفيذ، لم تُظهر الوقائع الميدانية قدرة مستدامة على الانتقال من موقع الدفاع إلى الهجوم، ولا على إلحاق أضرار إستراتيجية متراكمة بإسرائيل، بل إن تأثير السلاح، كما عكسه مسار الحرب بقي محصورًا في نطاق محدود مقارنة بحجم الردّ وكلفته.

وإذا كانت تلك العملية تمثل الحدّ الأقصى لما أمكن تحقيقه، فإن السؤال لا يعود متعلقًا بإمكانية تكرارها، بل بحدود القدرة العسكرية ذاتها. فهل تكفي هذه القدرات، في ميزان القوى القائم لفرض وقائع جديدة، أم أن توصيفها بوصفها قدرات محدودة بات أقرب إلى القراءة الواقعية للمشهد؟

أفرزت عملية السابع من أكتوبر واقعًا مختلفًا عمّا سبقها، لا على مستوى قطاع غزة وحده، بل على مستوى الإقليم ككل. فقد تغيرت قواعد الاشتباك واتّسعت دائرة التداعيات السياسية والأمنية، بما جعل البيئة المحيطة بالصراع أكثر تعقيدًا وأقل قابلية للعودة إلى ما كانت عليه، في هذا السياق يبدو التعامل مع حركة حماس بوصفها طرفًا قادرًا على موازنة إسرائيل المدعومة أميركيًا في ظل إدارة دونالد ترامب، قراءة تتجاوز المعطيات القائمة، فاختلال ميزان القوة لم يَعُد مسألة تقدير نظري، بل بات عنصرًا حاسمًا في رسم مآلات الصراع وحدود الخيارات المتاحة أمام مختلف الأطراف.

حين يتحدث القيادي في حركة حماس خالد مشعل، في تصريحاته الأخيرة، عن سعي المقاومة إلى بناء صورة تضمن عدم تجدد الحرب بين غزة وإسرائيل، فإن هذا الخطاب يفترض ضمنًا امتلاك أدوات قادرة على إعادة فرض معادلة ردع جديدة، غير أن الوقائع التي أفرزتها الحرب تضع هذا الافتراض أمام اختبار صعب، فالبيئة الإقليمية التي كانت تُستدعى بوصفها عمقًا داعمًا للمقاومة لم تعد على حالها. إذ بدا أن المحور الذي امتد، لسنوات، من إيران مرورًا بسوريا وصولًا إلى لبنان، قد تآكلت قدرته على العمل كجبهة متماسكة، بفعل تداعيات عملية السابع من أكتوبر وما تلاها. وفي هذا المشهد، ظهر قطاع غزة، ومعه حماس، في موقع معزول عمليًا خارج قواعد اللعبة الإقليمية التي كانت قائمة قبل الحرب.

بعيدًا عن السخرية أو المبالغة، يضع الواقع الميداني والسياسي سؤالًا لا يمكن القفز فوقه: ما الذي تملكه حماس فعليًا اليوم بما يسمح لها بالتأثير في معادلة "اليوم التالي" للحرب؟ وهل لا يزال سلاح المقاومة في صورته الراهنة، يشكّل عنصر ضغط حقيقيًا على إسرائيل؟

وبغض النظر عمّا إذا كانت الحركة لا تزال تحتفظ بجزء من مخزونها العسكري داخل قطاع غزة، فإن قدرتها على إلحاق ضرر مؤثّر بالطرف الآخر تبدو محدودة في المقابل، كانت انعكاسات هذا السلاح على الفلسطينيين أنفسهم أكثر وضوحًا، كما عكسته مشاهد الحرب الأخيرة، حيث اتّسعت الكلفة الإنسانية وتآكلت القدرة على الاحتمال، من دون أن يقابل ذلك تغيّر ملموس في موازين القوة.

ما الذي تملكه حماس فعليا اليوم

الملاحظ أن التركيز الإسرائيلي المتزايد على مسألة السلاح لا يعكس بالضرورة خشية من قدرات عسكرية قائمة بقدر ما يشير إلى إدراك بتراجع هذه القدرات إلى حدّ الانهيار، ومن هنا يبدو أن الهدف يتجاوز نزع الوسائل العسكرية، ليمتد إلى محاولة تفكيك البنية الأيديولوجية والسياسية لحماس داخل قطاع غزة باعتبارها الإطار الذي يمنح السلاح معناه ودوره.

الجوع المسيس في مخيمات لبنان: اللاجئون يدفعون فاتورة الحرب مرتين

عبدالباري فياض
كاتب وصحافي فلسطيني

بينما تتجه أنظار العالم، ومعها اهتمام الإعلام والسياسة، إلى قطاع غزة وما يشهده من حرب مفتوحة وتداعيات غير مسبوقة، تتكشف في الظل فصول مأساة أخرى لا تقل قسوة، وإن بدت أقل صخباً. في مخيمات اللجوء الفلسطيني في لبنان، يخوض اللاجئون معركة يومية من نوع مختلف، معركة البقاء في وجه الجوع والمرض وانسداد الأفق، بعد تأخر متكرر في صرف مساعدات "الشؤون" التي تقدمها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "أونروا".

هذه المساعدات، التي تبدو متواضعة في قيمتها المالية، تمثل بالنسبة لآلاف العائلات شريان حياة لا بديل عنه. كبار السن، ذوو الإعاقة، المرضى المزمنون، والأرامل، يعتمدون عليها لتأمين الحد الأدنى من الغذاء والدواء في بلد يرزح تحت واحدة من أسوأ الأزمات الاقتصادية في تاريخه الحديث. في لبنان، لم يعد الفقر توصيفاً اجتماعياً فقط، بل حالة عامة، ومعها يصبح أي تأخير في الدعم الإنساني عبئاً ثقيلاً قد تكون كلفته حياة إنسان.

القلق المتصاعد في المخيمات لا يرتبط بإجراء إداري عابر، بل بسياق سياسي أوسع وأكثر تعقيداً. فالأزمة الإنسانية التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون في الشتات لا يمكن فصلها عن مجريات الحرب الإسرائيلية المستمرة، ولا عن مآلات التهدئة المتعثرة والمفاوضات التي تدور في كواليس إقليمية ودولية مشحونة. ما يجري اليوم يؤكد أن الحرب لم تعد محصورة بالجغرافيا الغزية، بل اتخذت شكلاً أشمل، يستهدف مجمل الوجود الفلسطيني، حيثما كان.

في هذا الإطار، تتعرض "أونروا" لضغوط سياسية ومالية غير مسبوقة، في محاولة واضحة لتقليص دورها أو إفراغه من مضمونه. استهداف الوكالة ليس مسألة تقنية أو مالية فحسب، بل يحمل أبعاداً سياسية عميقة، تمس جوهر قضية اللاجئين وحقهم التاريخي، وتعطيل دور "أونروا" أو إضعافها يعني عملياً دفع اللاجئين نحو اليأس، وفتح الباب أمام مشاريع تصفوية تُطرح تحت عناوين "اليوم التالي" للحرب.

وإذا ما جرى التوقف عند المؤشرات المالية الصادرة عن الوكالة، فإن الصورة تصبح أكثر قتامة. فـ"أونروا" تواجه عجزا ماليا بنيويا يُقدَّر بمئات ملايين الدولارات في ميزانياتها البرامجية ونداءات الطوارئ، وهو عجز لا يُختزل في فجوة حسابية بقدر ما يعكس سياسة "التقطير" التي ينتهجها المانحون الدوليون، وبات تأمين الرواتب وتوزيع المساعدات النقدية في لبنان يخضع لإجراءات شهرية بالغة الهشاشة، الأمر الذي يجعل الأمن الغذائي لعشرات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين رهينة لاعتبارات دولية لا تضع الإنسان في صدارة أولوياتها.

ترك مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان يواجهون الجوع والمرض بحجة العجز المالي أو التعقيدات السياسية هو شكل من أشكال التواطؤ الصامت

تزامن تأخر المساعدات مع تعثر مسار التهدئة ووقف إطلاق النار يثير تساؤلات مشروعة، فالمفاوضات الجارية لا تتعلق فقط بالملفات العسكرية أو تبادل الأسرى، بل تمتد إلى إعادة رسم المشهد السياسي الفلسطيني برمته، وفي هذا السياق، يبدو الضغط الإنساني، خصوصاً على اللاجئين في دول الطوق، أداة إضافية في لعبة الضغط السياسي، حيث يُستخدم الألم اليومي كورقة تفاوض غير معلنة.

وسط هذا المشهد المعقد، يبرز تساؤل موضوعي لا يمكن تجاهله، يتعلق بإدارة الصراع فلسطينياً. قرار المواجهة المفتوحة الذي اتخذ في السابع من أكتوبر 2023 شكّل لحظة مفصلية في تاريخ الصراع، وفرض معادلات جديدة على الأرض. غير أن حجم التداعيات الإنسانية، داخل فلسطين وخارجها، يفرض نقاشاً هادئاً ومسؤولاً حول مدى الاستعداد لإدارة هذه التبعات على مستوى الشعب الفلسطيني بأكمله، وليس في غزة وحدها.

مفهوم "وحدة الساحات" لا ينبغي أن يظل مفهوماً عسكرياً محضاً، بل يفترض أن يشمل وحدة المعاناة ووحدة الإسناد. اللاجئ الفلسطيني في لبنان، الذي يعيش على هامش الاقتصاد والسياسة، وجد نفسه مكشوفاً أمام عاصفة مركبة من الانهيار الاقتصادي المحلي، والضغط الدولي على مؤسسات الإغاثة، وغياب شبكات أمان بديلة. هذا الواقع لا يقلل من قيمة التضحيات، لكنه يطرح ضرورة التفكير في آليات حماية الصمود الشعبي في الشتات، باعتباره جزءاً لا يتجزأ من المعركة.

في المقابل، يتحمل المجتمع الدولي والجهات المانحة المسؤولية الأخلاقية الأولى عن تفاقم هذه الأزمة، فترك مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان يواجهون الجوع والمرض بحجة العجز المالي أو التعقيدات السياسية، هو شكل من أشكال التواطؤ الصامت. المطلوب من "أونروا" اليوم أن تتعامل مع الوضع كحالة طوارئ حقيقية، وأن تبحث عن آليات استثنائية تضمن استمرارية الدعم، بعيداً عن الحسابات البيروقراطية الضيقة.

ما تشهده المخيمات من حالة غليان، ودعوات إلى الاحتجاج والاعتصام، مؤشر خطير على أن الصبر بلغ حدوده. الانفجار الاجتماعي في هذه البيئات الهشة لن يخدم سوى مشاريع الفوضى، وسيُستخدم ذريعة للمزيد من التضييق والتهميش. لذلك، فإن معالجة الأزمة لم تعد خياراً مؤجلاً، بل ضرورة عاجلة لحماية الاستقرار الاجتماعي، وصون كرامة الإنسان الفلسطيني.

ولا يمكن الحديث عن أي إنجاز سياسي أو عسكري بمعزل عن كرامة الإنسان الفلسطيني، سواء كان في غزة تحت القصف، أو في مخيمات لبنان تحت وطأة الجوع، يواجه المعركة ذاتها بأشكال مختلفة، والانتصار الحقيقي لا يُقاس فقط بميزان القوة، بل بقدرة الشعب على الصمود دون أن يُدفع إلى حافة الانكسار، فهذه معركة الوعي والكرامة، والخسارة فيها لا تخص فصيلاً أو مؤسسة، بل تطال مستقبل قضية بأكملها.

نيجيرفان بارزاني... وسيط الأزمات وصانع الاستقرار

محمد واني
كاتب كردي عراقي

كلما سنحت لرئيس إقليم كردستان نيجيرفان بارزاني الفرصة للقيام بدور حمامة السلام بين الأحزاب الكردية المتنازعة داخل الإقليم أو طرح مبادرة سلام لنزع فتيل الأزمة القائمة بين أربيل وبغداد، لم يتوانَ عن القيام بها حفاظًا على السلم الأهلي الكردي والعراقي. وقد حقق في محاولاته التحكيمية المتواصلة نجاحات متكررة أكسبته الكثير من الاحترام والمكانة المرموقة بين الأعداء قبل الأصدقاء. ورغم انتمائه إلى "الحزب الديمقراطي الكردستاني" الحاكم، فإن موقفه من فض النزاعات وتعزيز السلام بين الأطراف المتنازعة، وخاصة مع غريم الديمقراطي اللدود "الاتحاد الوطني الكردستاني"، كان محايدًا تمامًا. وإذا ما تصفحت حياته السياسية كرئيس للحكومات الكردية المتعاقبة وكرئيس للإقليم فيما بعد، ستكتشف حقيقة أنه كان دائمًا عاملًا مساعدًا لترسيخ السلام والاستقرار في الإقليم والمنطقة، لا عامل توتر ونزاع.

ولم ينحصر نشاط بارزاني الدبلوماسي السلمي داخل الإقليم وبين أطرافه السياسية، بل تعداه إلى بغداد، حيث "العمق الإستراتيجي للإقليم"، وهي العبارة التي يرددها دائمًا أمام وسائل الإعلام ويعمل على ضوئها. لذلك كثف من زياراته المكوكية إلى العاصمة العراقية، والتقى بقادتها ومراجعها، وتباحث معهم حول الحلول العملية لوضع حد للمشكلات العالقة بين الطرفين وفق الدستور والاتفاقات السياسية المبرمة.

وكما أولى نيجيرفان أهمية للعلاقة الكردية – الكردية على أساس الأرضية المشتركة، فإنه سعى إلى تحسين العلاقة بين أربيل وبغداد اعتمادًا على مبدأ التوازن والتوافق وفق الدستور. كما برز في الساحة السياسية الإقليمية كرجل دبلوماسي من الطراز الأول، يساهم في تهدئة التوترات من خلال وساطاته بين تركيا والإمارات، ونجح في تخفيف الخلافات الناشبة بين الدولتين، بحسب موقع المونيتور الأميركي الذي أشار إلى "ذكاء رئيس إقليم كردستان الذي يتمتع بروابط ودية مع زعيمي الدولتين"، ووصفه بأنه "مفاوض ماهر ومؤثر" استطاع تخفيف التوترات بين الزعيمين التركي والإماراتي.

وفي ذروة خلافات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، لعب نيجيرفان دور الوسيط بين الرئيسين، واستطاع أن يقنع الطرفين بعدم التصعيد والركون إلى السلام، فالمنطقة لا تتحمل المزيد من التوترات. ولمكانته المرموقة لدى فرنسا، قام الرئيس ماكرون بإرسال دعوة لحضوره حفل افتتاح كاتدرائية نوتردام في باريس عام 2024، دون سائر قادة العراق، ضمن خمسين رئيسًا من رؤساء وقادة دول العالم وكبار المسؤولين، بينهم الرئيس الأميركي دونالد ترامب.

كل المواهب الدبلوماسية التي يمتلكها نيجيرفان بارزاني يسخرها من أجل ترسيخ السلام في منطقة ساخنة وغير مستقرة. وقد ساهم بشكل كبير في المحافظة على هدوء واستقرار إقليم كردستان الصغير، المحاط بدول إقليمية كبرى متصارعة ودول غربية عظمى لها مصالحها ومشاريعها الإستراتيجية في المنطقة، وهو إنجاز كبير يُحسب له.

وبما أن العراق يقترب من انتخاب رئيس جديد للجمهورية خلفًا لعبد اللطيف رشيد، فإننا، وكثيرًا من الشخصيات السياسية المرموقة في العراق من الكرد والسنة والشيعة، نؤيد تولي نيجيرفان بارزاني هذا المنصب، باعتباره سياسيًا محنكًا ذا خبرة طويلة في إدارة الدولة وقيادتها في هذا الظرف الاستثنائي الصعب، الذي تتصارع فيه دولتان عظميان، الولايات المتحدة وإيران، في محاولة كل منهما لفرض نفوذها على أغنى وأهم دولة في المنطقة. ولم يكن السؤال الذي وجهه إليه زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر في لقاء جمعهما في الحنانة عام 2022: "لماذا لا يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية؟" سؤالًا اعتباطيًا، بل جاء عن علم ودراية بأنه الأجدر بهذا المنصب.

كل المواهب الدبلوماسية التي يمتلكها نيجيرفان بارزاني يسخرها من أجل ترسيخ السلام في منطقة ساخنة وغير مستقرة وقد ساهم بشكل كبير في المحافظة على هدوء واستقرار إقليم كردستان الصغير

وأخيرًا، نستشهد برأي الذكاء الاصطناعي عن نيجيرفان بارزاني، الذي يمتدح "خبرته السياسية وعلاقاته الواسعة وقدرته على إدارة الأزمات وحل الخلافات العميقة بين أربيل وبغداد"، خصوصًا وأن المنصب الرئاسي في العراق يُنظر إليه كأداة تأثير مهمة تتطلب الحكمة والحنكة، وهو ما يمتلكه بارزاني.

مفاوض ماهر ومؤثر

الخوف السياسي: كيف يدار العالم بالقلق

أدهم إبراهيم
كاتب عراقي

يُعدّ الخوف أحد أقدم المحركات في الفعل السياسي، وأشدّها تأثيرًا في تشكيل سلوك الأفراد والجماعات. فمنذ نشأة السلطة، لم يكن الخوف مجرد شعور إنساني طبيعي، بل تحوّل إلى أداة فعّالة للوصول إلى الحكم والحفاظ عليه. غير أنّ التلاعب بالخوف لا يمارسه الحكّام وحدهم، بل يقوم على تواطؤ ضمني بين من يبثّونه ومن يستجيبون له، إذ يجد فيه الطرفان ـ بدرجات متفاوتة ـ وسيلة لتبرير الواقع القائم أو الهروب من مسؤولية تغييره.

بذلك يمكن تعريف الخوف السياسي بأنه استخدام منهجي للقلق والمخاوف للسيطرة على الأفراد والمجتمعات، سواء عبر التخويف من المجهول، أو القمع، أو الإرهاب. وهو يُنتج "ثقافة خوف" تؤدي إلى الصمت، والعزلة، واليأس، وانسحاب الناس من الفعل المعارض، وبالتالي يعيق التغيير ويعزّز الأنظمة السياسية.

في هذا السياق، يقدّم عالم الاجتماع البريطاني فرانك فوريدي مفهوم "ثقافة الخوف" بوصفه الإطار الناظم لعصرنا الراهن. فالمجتمعات المعاصرة، وفقًا له، تعيش حالة دائمة من الهلع الأخلاقي، حيث تُضخَّم المخاطر ويُعاد إنتاجها إعلاميًا وسياسيًا إلى حدّ يشلّ القدرة على التفكير النقدي، ويغذّي نزعة الاستسلام للقدر، وكأنّ الخطر حتميّ ولا سبيل إلى مواجهته إلا بالخضوع.

> دراسات علم النفس الاجتماعي والسياسي أظهرت أن الخوف يعزز النزعات السلطوية ويبرر قمع الحريات باسم الأمن، فهو يشل الإرادة ويقوض الروابط الاجتماعية ويدفع الأفراد إلى الانكفاء واللامبالاة

تلعب التقنيات الحديثة دورًا محوريًا في ترسيخ هذا المناخ. فالاستخدام المستمر للهواتف الذكية، ووسائل التواصل الاجتماعي، وسيل الأخبار العاجلة، يُضعف الصلة بالواقع الملموس، ويجعل الأفراد أسرى صور وانتقائيات تُدار غالبًا من قبل نخبٍ سياسية واقتصادية عالمية. وبهذا المعنى، لا يصبح الخوف السياسي مجرد خطاب، بل تجربة يومية يعيشها الفرد، تدفعه تدريجيًا إلى مواقف التبعية، وتُفرغ الفعل السياسي من معناه النقدي أو المعارض.

ومن أبرز أشكال الخوف السياسي، الخوف من سقوط النظام. فسقوط أنظمة حليفة أو مجاورة يُقدَّم بوصفه نذير فوضى شاملة، أو انتقالًا للصراعات، ما يزرع القلق في النفوس ويُستخدم لتبرير التشدد والقمع. كما أنّ التباين الحاد بين القوى السياسية، وغياب رؤية موحّدة لمواجهة التحديات، يعمّقان حالة عدم اليقين، ويجعلان الخوف بديلًا عن النقاش العقلاني.

يُضاف إلى ذلك الخوف من هيمنة دين أو مذهب على آخر، وهو خوف يتصل مباشرة بالحفاظ على الهوية الثقافية والدينية والسياسية. ويتجلّى هذا القلق في صور متعددة: الخشية من الاندماج القسري، أو فقدان التقاليد، أو محو الخصوصية الثقافية والدينية لجماعة بعينها. وغالبًا ما يُستثمر هذا النوع من الخوف سياسيًا لإشعال الانقسامات وتعميق الاستقطاب. وهنا تظهر مقايضة الحرية بالأمن. فالعنف المجتمعي، بما يحمله من تهديد حقيقي أو متخيَّل، يدفع بعض الناس إلى القبول بسياسات أمنية صارمة، باعتبارها الملاذ الوحيد للحماية. المشكلة هنا لا تكمن في الإحساس بالخوف ذاته، بل في الإفراط في استخدامه، وتحويله إلى ذريعة دائمة لتقييد الحريات وتقويض الضمانات القانونية.

كما برز في السنوات الأخيرة الخوف من الوباء (كورونا) مثالًا صارخًا على قابلية المجتمعات للتلاعب. فالتهويل الإعلامي لانتشار الأوبئة، حين ينفصل عن التوازن العلمي، يحوّل القلق الصحي إلى فوبيا جماعية تُفضي إلى الانهيار النفسي والاجتماعي. وفي عالم يصعب فيه على الأفراد تجاهل سيل المعلومات، يصبح التمييز بين التحذير المشروع والتخويف المتعمّد مهمة شاقة.

غالبًا ما تُثار المخاوف قبيل الانتخابات، إذ لا شيء يضمن حشد الأصوات مثل استدعاء الخوف من فوز جهة محددة. لقد أدرك السياسيون منذ زمن بعيد أنّ الخوف من التهديدات الوجودية أو المفتعلة أداة فعّالة لكسب ثقة الناخبين، حتى وإن لم تُترجم هذه الوعود إلى سياسات حقيقية تلبّي حاجات الأمن الفعلي. وفي هذا الإطار، يتوزّع الخوف أيديولوجيًا أيضًا: فاليمين مثلًا يثير المخاوف من الهجرة واللاجئين، فيما يثير اليسار القلق من الكائنات المعدلة وراثيًا، أو من انقراض الجنس البشري. وهكذا، يصبح الخوف لغة مشتركة في الخطاب السياسي.

وفي ظل الفشل المزمن في حلّ الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، يبدو التركيز على الأمن الداخلي الخيار الأسهل. إذ يُضخَّم الخوف من الجريمة ـ كالسرقة أو الاعتداء في الشارع ـ عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، حتى يغدو هاجسًا يوميًا يُبرّر تشديد الرقابة وتوسيع سلطات الدولة.

ولا يقلّ تأثير الخوف عن الحرب خطورة. ففي أوروبا، على سبيل المثال، يُجرى توظيف الخوف من توسّع الحرب بعد أوكرانيا لإعادة تشكيل المزاج العام.

لقد أظهرت دراسات علم النفس الاجتماعي والسياسي أنّ الخوف يعزّز النزعات السلطوية، ويبرّر قمع الحريات باسم الأمن. فهو يشلّ الإرادة، ويقوّض الروابط الاجتماعية، ويدفع الأفراد إلى الانكفاء واللامبالاة، مفسحًا المجال أمام أنماط خضوع طوعي. وبهذا المعنى، يصبح الخوف أحد أكثر أشكال العنف انتشارًا وخبثًا، لأنه لا يُمارَس بالقوة المباشرة، بل يتسرّب إلى الوعي، ويُسهم في تنفيذ أجندات مرسومة سلفًا دون مقاومة تُذكر.

إنّ مواجهة الخوف السياسي لا تبدأ بنفي المخاطر، بل باستعادة العقل النقدي، وتعزيز الشفافية، وبناء ثقة قائمة على المشاركة لا على التهديد. فالمجتمعات التي تتحرر من أسر الخوف، وحدها القادرة على تحويل السياسة من إدارة للقلق، إلى أفق للفعل والتغيير نحو مستقبل أفضل.

حين يصبح الخوف وطنا والحرية منفى

مسارات السلام في السودان تصب في السعودية

السعودية وسيط وعلى السودانيين أن يتحملوا مسؤولية إنقاذ بلادهم

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

تمثل زيارة قائد الجيش السوداني عبدالفتاح البرهان إلى السعودية محطة مهمة للسلام في السودان إذا فهم السودانيون أن مسارات السلام المختلفة تصب في الرياض، فأي تدخلات ثنائية أو جماعية للحل تتعامل مع السعودية كطرف رئيسي بدءا من منبر جدة ثم جنيف ونيروبي. لكن إذا نظر إليها البرهان من جانب المغالبة وتسجيل نقاط على حساب خصمه قائد الدعم السريع محمد دقلو (حميدتي)، فهذا يعني أنه لم يفهم ما تريده القيادة السعودية من الزيارة ومن دعوتها الرئيس الأميركي ترامب إلى دعم الحل في السودان.

لا يبحث السعوديون عن حليف أو تابع، ولا يدعمون فريقا على حساب آخر، ما يهمهم هو الضغط على القادة السودانيين للبحث عن المشترك الذي ينهي الحرب، لكن قبل ذلك وقف إطلاق النار وتخفيف المعاناة عن السودانيين وإيصال المساعدات إلى النازحين من لهيب نار الإخوة الأعداء.

> السعوديون لا يبحثون عن حليف أو تابع ولا يدعمون فريقا على حساب آخر، ما يهمهم هو الضغط على القادة السودانيين للبحث عن المشترك الذي ينهي الحرب ويخفف معاناة السودانيين

تسيطر على جمهور الحركة الإسلامية، التي تتحكم في البرهان ومن ورائه المؤسسة العسكرية، فكرة أن السعودية تدعم الجيش السوداني دون شروط، وذلك ضمن توازنات إقليمية تسعى فيها المملكة إلى أن تكون طرفا مؤثرا، وهي فكرة مهزوزة ودون أسس لأن السعوديين سبق أن انتقدوا طرفي الحرب في السودان دون تخصيص من معهم ومن ضدهم. كما أن هذا الإيحاء ليس أسلوب السعودية في بناء نفوذها الإقليمي، فهي لا تدعم الصراعات البينية داخل الدول، ولا تنافس دولا إقليمية على النفوذ، وأدوات نفوذها بعيدة عن تمويل الحروب والإنفاق على شراء الأسلحة وتهريبها وتشكيل الميليشيات.

يتأتى نفوذ السعودية في أغلب مظاهره من طبيعتها كدولة وازنة لديها أوراق قوة مالية واستثمارية ونفطية، وأخرى رمزية تتعلق بكونها مركزا دينيا يلتف حولها العالم الإسلامي، وهو ما يجعل من شبه المستحيل رهانها على دعم جيش سوداني تتخفى وراءه حركة إسلامية بهوية إخوانية تتناقض كليا مع المقاربة الدينية للسعودية وتصنفها جماعة إرهابية.

قد تكون المملكة فتحت أمام قيادات إخوانية الباب للتدريس و"أكل الخبز" في عقود سابقة، لكن فرصة انفتاح السعودية الجديدة على الجماعة وفروعها وممثليها لم يعد أمرا ممكنا ليس فقط بسبب تغيير القوانين والمناهج والتخلي عن السردية الدينية للجماعة التي كانت تدرّس للسعوديين، ولكن، وهذا الأهم، أن المملكة اختارت نهج الانفتاح الديني والثقافي والاندماج الإيجابي في المجتمع الدولي، ولا سبيل للعودة إلى الوراء.

وبالنتيجة، فإن ما يهم السعوديين من استقبال البرهان وقبله وفودا سودانية في منبر جدة هو جمع السودانيين على طاولة التفاوض مستفيدين من وزنهم الاعتباري لديهم وفي الإقليم، وخاصة من حيادهم في الصراع السوداني – السوداني، ومن حرصهم على تأمين الاستقرار الإقليمي في منطقة حيوية مشاطئة للبحر الأحمر.

ستؤمن السعودية فرصة أخرى وبارقة أمل أخيرة للسودانيين تحت مظلة منبر جدة، خاصة أنه مدعوم من الولايات المتحدة، التي تحركت مجددا لدعم الحل السياسي في السودان بطلب مباشر من ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان خلال زيارته الأخيرة لواشنطن ولقاء القمة الأخير مع الرئيس دونالد ترامب. وتصب مختلف مسارات السلام الخاصة بالسودان في السعودية التي سيكون دورها مؤثرا في إنجاح الحل سياسيا وماليا.

وانطلقت أولى جولات منبر جدة في السادس من مايو 2023 برعاية سعودية وأميركية مشتركة. وشهد المنبر قبل توقف أعماله في نوفمبر 2023، الاتفاق على هدنة إنسانية لكن لم يجر الالتزام بها من الطرفين، وخاصة من جانب قيادة الجيش السوداني، التي كانت تضع أولوية لها خيار الحل العسكري، لكن تطورات الحرب في الأشهر الستة الماضية قلبت المعادلة رأسا على عقب.

ومن شأن التحرك السعودي أن يسحب المبررات من البرهان ويقيم عليه الحجة، بعد أن رفض التعاطي مع دعوة الرباعية الدولية (الولايات المتحدة، السعودية، مصر، الإمارات) إلى التهدئة، وهي المبادرة التي طرحها مستشار ترامب لشؤون أفريقيا والشرق الأوسط مسعد بولس ووصفها البرهان بأنها "أسوأ الأوراق لأنها تلغي وجود الجيش وتطالب بحل الأجهزة الأمنية وتبقي على الدعم السريع"، مردفا "لن نقبل بذلك".

> ما يهم السعوديين من استقبال البرهان وقبله وفود سودانية هو جمع السودانيين على طاولة التفاوض مستفيدين من وزنهم الاعتباري لديهم وفي الإقليم وخاصة من حيادهم في الصراع السوداني – السوداني

وخلال زيارته للسعودية، قال البرهان إنه سيعمل مع مستشار ترامب من أجل إحلال السلام في السودان، ولا يعرف إن كان كلام قائد الجيش السوداني جديا أم أنه مجرد حديث مجاملة للسعودية ولبولس نفسه الذي التقى به في الرياض. لكن لا شك بأن البرهان قد سمع كلاما سعوديا واضحا ودقيقا بشأن الوضع، وهو ما كان عبّر عنه وزير الخارجية الأمير فيصل بن فرحان أمام الجمعية العامة في سبتمبر الماضي.

وأكد الأمير فيصل بن فرحان على حرص المملكة على استقرار السودان ووحدة وسلامة أراضيه، مشددا على أهمية استمرار الحوار عبر منبر جدة، ورفضها لأي خطوات خارج إطار مؤسسات الدولة التي قد تمس وحدة السودان ولا تعبّر عن إرادة شعبه، وهو ما يعني أن السعودية ترفض تفكيك السودان وتفتيته وقيام دولة للجيش وأخرى لقوات الدعم السريع.

السعودية وسيط، وعلى السودانيين أن يتحملوا مسؤوليتهم لإنقاذ بلادهم. يمكن للرياض أن تساعد بالنصيحة وأن تجمع الفرقاء وتبني الثقة وأن تقدم مساعدات للنازحين، لكنها لن تفعل أكثر من ذلك إن لم تر مؤشرات جدية على رغبة الجميع في السلام، هل يتصور البرهان بأن السعودية ستحتفي به وهو يستمر في المكابرة ويتمسك بالحسم العسكري، كيف لها أن تقدم الدعم المالي والاستثماري لتأكله نار الحرب أو تلتهمه سوق السلاح المهرب.

من المهم تنشيط مسارات الحوار السوداني – السوداني وتنويع الشركاء في الحوار، والابتعاد به عن مسارات التجميع القائمة على اعتبارات عسكرية أو قبلية ووعود التقسيم. ومن الواضح في المزاج الإقليمي والدولي وجود توجه لتحييد القوى العسكرية وبناء مقاربات لحكم مدني بعيدا عن الاستقطاب الذي تلا سقوط نظام الرئيس السابق عمر البشير ومحاولة السطو على السلطة تحت مسميات مختلفة.

لقد بلغ السودانيون مرحلة عرفوا فيها بأن دول الإقليم، سواء تلك التي تقف في صف الجيش أو الدعم السريع، لم يعد لديها الاستعداد ولا الوقت للقبول باستمرار حرب مفتوحة على المجهول تهدد أمن الإقليم، من ذلك أن مصر، التي تدعم الجيش السوداني، تفضل الاحتكام إلى الحلول الدبلوماسية لحل النزاع في الدولة الجارة، وتخشى من أن يؤدي استمراره إلى تداعيات ستؤثر عليها مستقبلا.

وسيكون أول اختبار لنتائج زيارة البرهان للمملكة مرهونا بمدى استجابته للمشاركة في اجتماعات منبر جدة 2، وقبل ذلك اتخاذ إجراءات لبناء الثقة مع الوسيط السعودي من مثل تسهيل وصول المساعدات الإنسانية وفتح الممرات الآمنة، والكف عن خطاب خلط الأوراق إقليميا، واستدعاء أكثر من دولة إلى النزاع لإظهار قدرته على المناورة، فماذا سيمكن أن يستفيد البرهان من وجود إيران أو روسيا وتركيا في نزاع مطلوب حله إقليميا، وخاصة من الدول المشاطئة للبحر الأحمر أفريقيا وعربيا.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الجمعة 2025/12/19
السنة 48 العدد 13689

الناجي مرتين من الموت

عاطف أبوسيف

هدهد فلسطين في حرب الإبادة ومشكاة حكاياتها

أوس أبوعطا
صحافي فلسطيني

تحتضن تجربة الروائي والصحافي والمناضل الدكتور عاطف أبوسيف، الحكاية الفلسطينية كأب يحتضن ابنه الناجي الوحيد من العائلة، ابنه الذي لا أخ ولا أخت ولا أم له. جميعهم أكلتهم الحرب المسعورة. يمسّد على رأسه في أتون نيران المحرقة ويرفع معنوياته ويهدهده حتى يهجع؛ رغم زئير الدبابات وأزيز الرصاص وزعيق الطائرات الحربية ونعيق الكوادكابتر، تحت خيمة مهدها الثرى وسقفها القماش المهترئ، في وطن حصنهم الوحيد فيه هو عين الله ورعايته.

هناك، احتضن الدكتور عاطف مأساة شعبه الفلسطيني في أوراقه، دثّرها وزمّلها بمَلكتهِ الإبداعية المتقدة. كما احتضن ابنه ياسر الذي رافقه طوال ثلاثة أشهر نجيا منها بأعجوبة من رحى الحرب. احتضانٌ لا تهزّه أعاصير الاحتلال الإسرائيلي ولا زوابع المتخاذلين ولا نفثات اللاهثين خلف الانتصارات المكذوبة.

المقاومة قولا وفعلا

إبان "قصة موت معلن للشعب الفلسطيني" نقلت كتابات أبوسيف حكايات الموت العادي تحت مقصلة حرب الإبادة الشّاملة والكاملة في قطاع غزّة الأسير الكسير وشعبه الفلسطيني البريء والمسالم، إلى العالم بأسره بأكثر من لغة وعلى أهم منابره الصحفية والإعلامية.

غنّي عن القول إن الدكتور عاطف يحظى بمكانة وبمقامة باسقة وسامقة في الثقافة الفلسطينية الحاضرة، تتجاوز جميع المناصب التي كُلّف بها، من متحدث باسم حركة فتح في قطاع غزّة وكوزير الثقافة الفلسطينية.

في كتابات أبوسيف نجد ظلّ يافا ومخيم جباليا وغير ذلك من المدن، فالمكان الفلسطيني هو الخيط الذي يربط أعماله

مخيم جباليا كان مسقط رأس عاطف أبوسيف الذي ولد فيه عام 1973 لعائلة تهجرت خلال النكبة من مدينة يافا. عاش عاطف أبوسيف طفولته وفتوته في المخيم الذي أرشف ذاكرته بالكثير من صور الألم اليومي لشظف الحياة وقسوتها ناهيك عن فعل المقاومة اليومية. وفي المخيم العصي على الاحتلال تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي، ثمّ التحق بجامعة بيرزيت حيث درس الأدب الإنجليزي وواصل دراسته بعد ذلك في إنجلترا وإيطاليا ليحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في السياسة الأوروبية.

من نافل القول أنّ لأبوسيف توجهه السياسي المعروف، توجه وطني خالص لا يقبل القسمة على اثنين. حيث انتمى إلى حركة فتح منذ صغره. واعتقل أوّل مرة وعمره 10 سنوات عام 1983 إثر مشاركته في مظاهرة ورشق جنود الاحتلال بالحجارة. كما أصيب ثلاث مرات في الانتفاضة الأولى وتم اعتقاله خلالها في سجن النقب عام 1991.

كان له نشاط ثوري مهم بصفته واحدا من أبرز الوجوه الشابة والمؤثّرة في الشبيبة الفتحاوية خلال دراسته في جامعة بيرزيت. حيث عمل في أطر الحركة المختلفة حتى كلف عضواً في هيئة القيادة العليا للحركة عام 2013 وبعد ذلك ناطقا رسميا لها. كما عُيّن وزيراً للثقافة في حكومة الدكتور محمد اشتية من أبريل 2019 حتى أبريل 2024.

مارس الدكتور عاطف المقاومة قولا وفعلا، باليراع وبالذراع، بالقرطاس والمتراس، ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتذكّر أخاه الشّهيد نعيم أبوسيف، وهو كما هو معروف من أبرز شهداء كوادر فتح العسكرية في الانتفاضة الثانية.

الهدهد ويوميات الإبادة

أمضى الوزير عاطف الأشهر الثلاثة الأولى من الحرب الجارية في غزة، حيث كان يواظب على كتابة يومياته باللغتين العربية والإنجليزية ونشرها في كبريات الصحف العربية والأجنبية، من صحيفة الأيام الفلسطينية إلى العربي الجديد ونيويورك تايمز والجاردين والواشنطن بوست والليموند ودير شبيغل وكوريرا ديلا سيرا وذا نيشن وغيرها. صدرت اليوميات في كتاب بالعربية بعنوان "وقت مستقطع للنجاة" وبالإنجليزية بعنوان "Don't look left: A genocide Diary" وقدم له الصحافي كريس هيدجز وتمت ترجمته إلى 16 لغة بما في ذلك النرويجية. كما صدرت له قبل ذلك يومياته خلال حرب 2014 بعنوان "The Drone eats with me" التي قدم لها نعوم تشومسكي.

وكحال أي عائلة فلسطينية دفعت ثمن تجذّرها بالأرض، استشهد والده الحاج طلال أبوسيف خلال الحرب في أبريل 2024. حرب شعواء، لم تبق ولم تذر، فقد فيها أبوسيف منزله ومنزل العائلة ومكتبته التي كانت بلا مبالغة نواة مكتبة عامة كان ينوي إقامتها في المخيم. ولعل أكثر ما يحزن الدكتور عاطف ويحزّ في فؤاده أنّ تحت ركام البيت هناك رسائل السجن من أخيه وأصدقائه ومخطوطات رواياته الأولى، ودفاتره حين كان فتىً يافعا، حيث كان يكتب قصص المخيم وما يسرده اللاجئون من قصص عن أيام شبابهم في يافا والمجدل والقرى المجاورة.

يرى الدكتور عاطف أنّ ذاكرة الشعب الفلسطيني بشكل عام، تعرضت لمحاولة استلاب من المشروع الصهيوني، خلال قرن ونصف القرن. وخير آية على ذلك أنّه في النكبة تمّت سرقة الآثار والتراث والمقدرات الثقافية، في حيفا ويافا والقدس، والآن يتم استكمال عملية السطو في غزة، بالتوازي طبعاً مع ما يتم من سرقات في القدس ونابلس وسبسطية، وهي بنفس بشاعة ما يجري في قطاع غزة. فمثلاً، قلعة قصر الباشا، جميع الغزاة حين جاءوا جلسوا فيها، وعندما جاء نابليون حوّلها إلى مكتب. في حين أن الاحتلال قام بتدمير حوالي 70 في المئة منه ونهب 20 ألف قطعة أثرية.

الهدف الأساسي من حرب الإبادة، حسب قناعة الوزير الفلسطيني الذي عاش المذبحة، هو استكمال مشروع النكبة وليس ردا انتقاميا على هجوم السابع من أكتوبر، كون إسرائيل ليست بحاجة لسبب أو ذريعة من أجل الهجوم على الشعب الفلسطيني ومن أجل مواصلة حربها التي لم تتوقف يوماً ضده.

قد يكون ما حدث في السابع من أكتوبر، خاصة بعض الصور والفيديوهات التي تم بثّها من قبل التنظيمات، ساعد إسرائيل في تبرير ما تفعل أمام العالم، لذلك كان ذلك الدعم الكبير الذي حظيت به إسرائيل في حرب إبادتها ضدّنا في أوّل شهرين من عمر الحرب. ولكن بشكل عام فإن إسرائيل رأت في ما حدث فرصة من أجل مواصلة مشروع النكبة. كانت الغاية الأساسية من وراء الحرب هي فعلاً تهجير الفلسطينيين في غزة. والمشروع فشل ليس بسبب بطولة أحد بل بسبب صمود الناس ورفضهم للنكبة الجديدة وفي سبيل ذلك أكلوا التراب والعشب وورق الشجر.

مما تجدر الإشارة إليه أنّه في اليوم الأوّل من الحرب تمّ تدمير متحف القرارة شرق خانيونس حيث توجد التماثيل الفلسطينية الكنعانية القديمة والجرار واللقى الأثرية من العصور الفلسطينية الأولى. إذًا كانت ثمّة خطّة مبيّتة للقضاء على ما تبقى من ذاكرة الفلسطينيين. خلال الإبادة جرت عملية إبادة ثقافية موازية. متحف الثوب الفلسطيني في رفح تم تدميره وضاعت تحت الركام أكثر من أربعمئة قطعة تطريز وثوب أحدثها عمره ضعف عمر دولة الاحتلال.

وأيضا حين تمّ تدمير الأرشيف المركزي لمدينة غزة الذي يحتوي ذاكرة المدينة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مثل محاضر اجتماع البلدية منذ 1890.

واستكملت حرب الإبادة الثقافية مهمتها بتدمير المكتبات بما في ذلك مكتبة بلدية غزة حيث يضم الطابق الأول كنوز الثقافة الفلسطينية قبل النكبة من صحف وجرائد وكتب ومطبوعات ومنشورات ومخطوطات، كذلك دار المخطوطات والمساجد والكنائس القديمة والمواقع الأثرية من ميناء أنثيديون (ميناء غزة من فترة الكنعانية) وبجواره أنقاض أول قصر في العالم بُني تحت الأرض، دير القديس هلاريون في تل أم عامر، المقبرة الرومانية وغير ذلك من عشرات المواقع المسجل بعضها في اليونسكو التي لم تحرك ساكناً من أجل الحفاظ على هذا الجزء الهام من ذاكرة العالم.

وعليه، لضمان نجاح إفراغ المكان من مقوماته، كان يجب تدمير الرواية الفلسطينية عن المكان ذاته. فمثلا، الجرار الفينيقية في متحف المتحف، حين تمّ تدميرها، فالغاية من هذا الفعل الخطير هي إخراج الفينيقيين الذين هم أجداد الفلسطينيين في غزة من ذاكرة التاريخ والآثار. ولهذا يعمل الاحتلال على تدمير كل ما له علاقة بالتاريخ الفلسطيني، حتى تبدو الأرض وكأنها كانت خالية تنتظر الغزاة أن يقيموا عليها حضارة.

وفي تصريح خاص بـ"العرب" يقول الدكتور عاطف أبوسيف "النكبة جريمة مستمرّة. وهذا ليس شعاراً، هذه حقيقة. ثمّة ثأر تاريخي مع غزة التي أشعلت الثورات والانتفاضات والتي واصلت تذكير دولة الاحتلال بأن الحلم الفلسطيني لم يتوقف ولم ينته ولن تتمكن من الإجهاز عليه. تتذكر صمود عبدالناصر في منطقة غزّة والمعارك التي دارت هناك شمال غزة في الفالوجا وعراق المنشية وعراق وسويدان ومعارك شرق غزة والمنطار. تذكّر أن أصعب معارك خاضتها القوات البريطانية لاحتلال منطقة شرق المتوسط كانت في غزة. معركة غزة الأولى ومعركة غزّة الثانية ومعركة غزة الثّالثة، لذلك في غزة هناك مقبرتان للإنجليز واحدة في مدينة غزة وأخرى في مدينة دير البلح".

مشكاة الرواية الفلسطينية

نشر الدكتور أبوسيف أوّل قصة له في ورقة معلّقة على جدار الخيمة في سجن النقب. خلال الاعتقال كتب 8 قصص تمكن من إخراجها معه من السجن وظّلت في ملفاته لم ينشرها إلا في أوراق السجن، الآن ترقد المجموعة تحت الركام. ولعاطف أبوسيف عشر روايات آخرها "ممرات هشة" 2023.

ترشحت روايته "حياة معلّقة" 2014 للقائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية عام 2015. وروايته "الحاجة كريستينا" 2016 للقائمة الطويلة من ذات الجائزة في نفس العام، كما فازت روايته "قارب من يافا" بجائزة كتارا لأدب الفتيان عام 2018. إلى جانب ذلك أصدر ثلاث مجموعات قصصية وكتب للمسرح الفلسطيني خمس مسرحيات مثّلت على الخشبة في غزة.

صراحة، يصعب على المهتم إحصاء وتتبع النتاج الغزير والفريد للكاتب عاطف أبوسيف. وروايات تحمل عناوين صادمة وتسيل لعاب القارئ إن جاز التعبير، أذكر منها على سبيل المثال لا التحديد: "حُصرم الجنّة" 2007 و"الجنّة المقفلة" 2021 و"القبر رقم 49 في العام 2025، وهناك مجموعته القصصية "غزّة اندرغراوند" التي صدرت في العام الحالي. أضف إلى ذلك أن أعماله تُرجمت إلى لغات عديدة.

فإذا مررنا بعجالة على رواية " الحاجّة كريستينا " الواقعة في 312 صفحة، لوجدنا أنّها تحكي قصة فضة التي ولدت في 1936 وسافرت إلى لندن، صحبة رجل إنجليزي كان صديقا لأبيها، في العام 1947 لتتعالج هناك، ثمّ فقدت عائلتها في العام 1948، إذ قتلت العائلة بالكامل، فتبنى الانجليزي جورج الفتاة وسماها كريستينا، وعاشت في كنفه حتى العام 1958، ولما توفي فجأة لم يرق لأخواته أن تظل فضة بينهن، فقررن إعادتها إلى بلدها، وهكذا عادت إلى غزة لتقيم في مخيم للاجئين الفلسطينيين واحدا وخمسين عاما، وفجأة في بداية حرب 2014 يحضر لاندروفر فيه بريطانيان ودليل ليقل كريستينا إلى لندن باعتبارها مواطنة تحمل الجنسية الإنجليزية والحفاظ على حياتها تحتّمه حقوق المواطنة.

من الممكن اعتبار أنّ ما خطّه الدكتور عاطف في روايته يعبّر عن رسالة تحمل أكثر من مغزى وأكثر من رأس: للحاكم الشرقي الموسوم بالاستبداد والذي لا يكترث بحياة مواطنيه داخل وطنه فما بالك لو كانوا خارجه، وللمحتل الإسرائيلي الذي يقتل المواطنين بعشوائية متعمدة. زد على ذلك أن عنوان الرواية بحد ذاته يحمل معنى عابرا للأديان والقوميات.

أمّا روايته المعروفة "مشاة لا يعبرون الطريق" فقد كشف الدكتور أبوسيف في أمسية أدبية أقيمَتْ له في مدينة رام الله عن الحادثة الحقيقيّة التي حدثت معه وهي التي ألهمته هذه الرواية. حين أسعف على وجه السّرعة مُسِنًا سقط أرضا دون مَعرفة السّبب من أزقّة المخيم إلى المستشفى، وهناك أصرّ الشرطي على اتّهامه بالمسؤوليّة، لولا أنّه، وبعد حين، ثبتت براءتُه حين استفاق المسنّ وقال ما حدث في الواقع، الأمر الذي ترك أبوسيف في حالة ذهول لم يستوعبها في البداية. فماذا كان سيحدث له لو لم يستفق الرجل المسن، ومات؟

كيف كان سيُثبت براءتَه وأنّه قام بعمل خير فقط؟ وكيف كان سيقضي السّنوات الطويلة في السجن أو يُحكَم عليه بالإعدام بتهمة قتل الرّجل المسن؟ وتساءل أبوسيف: كم من بريء تَرمي به الصّدفة في واقعة تكون المدمّرةَ لحياته؟ سؤال عميق يأخذنا إلى مرامي بعيدة ويشمل الإنسانية كلها ويوجه رسالة عابرة للمجتمعات والدول، وتدعو إلى إنصاف كل مظلوم على وجه البسيطة.

من الواضح في كتابات الدكتور عاطف تواجد ظلّ يافا ومخيم جباليا، فالمكان الفلسطيني هو الخيط الغائم الذي يتقاطع في "حياة معلّقة" و"الحاجة كريستينا" و"مشاة لا يعبرون الطريق" و"الجنة المقفلة" و"القبر رقم 49".

فالعالم الذي نشأ وترعرع فيه الدكتور عاطف، هو عالمه في المحصلة، موزع بين جغرافيتين، بين مكانين، أي بتعبير أدق هو مَشطور بشكل كامل بين المخيم والفضاء المحيط به أي مدينة غزة، ويافا المدينة التي ينتمي إليها معظم الناس في الحارة التي يعيش فيها في مخيم جباليا. الناس في المخيم يعيشون هذا التناقض الصارخ بين الواقع المرير الذي يعيشون فيه وبين العالم الرحب الذي أجبروا على تركه.

يافا والمجدل ويبنا وهوج ودير سنيد وسمسم وبربرة وبرير وهربيا ودمرة ونعليا وكل هذه المدن والقرى التي ولدوا فيها وظلّت عالقة بأجسادهم رائحة بيوتها وحقولها وبيادرها كانت طوال طفولته مسارح لحكايات يسردونها بحسرة ووجع. فهم حين يقارنون بين حياتهم الآن، في المخيم وبين ماضيهم الجميل يشعرون بهول النكبة كل يوم. هم يعانون فيما ذاكرتهم تنزف جمالاً من الماضي. لذلك فإن الحديث عن أي شخصية في المخيم، وكل شخصيات رواياته من هناك، يتطلب استعادة لجزء من الماضي الذي ظل حياً في أرواحهم.

وفي تصريح خاص بـ"العرب" يقول الدكتور عاطف "أكتب لأنني أردت أن أكون وفياً لذاكرة الناس. نحن نكتب لنتذكر. فعل الكتابة الأول في التاريخ على جدران الكهوف كانت الغاية الأساسية منه هي رغبة الإنسان في تذكّر شكل الحيوانات التي يصطادها. إذًا الذاكرة هي سبب الكتابة الأول. وإذا كان الأمر كذلك، وإذا كان الشعر محاكاة للواقع بالفهم الأرسطي أو إذا كان الشعر ديوان العرب، بمعنى أنه يسجل حيواتهم ويدوّنها، والشّعر معادلة عام للكتابة، فإن غاية الرواية أن تسجل حياة الناس، أن تحمل لحظة الحياة التي تتحدث عنها عبر بوابات الزمن".

ويضيف "إذا كان هذا صحيحاً بشكل عام فإنه أكثر دقة أو أكثر وجوباً في الحالة الفلسطينية، حيث يتعرض الشعب الفلسطيني لمحاولة محو وإزالة. الحديث عن يافا يعيد تكوين المدينة التي كانت درّة التاج الفلسطينية وجوهرة البحر الأبيض المتوسط عربياً. لذلك فإنه أمام عمليات الهدم والتهويد والمحو الذي تتعرض لها المدينة فإن استحضارها في الرواية كحاضرة مدينية وثقافية واقتصادية هو كفاح مضاد من أجل الإبقاء عليها".

الاحتلال يعمل على تدمير كل ما له علاقة بالتاريخ والثقافة

كان أبوسيف يواظب على كتابة يومياته باللغتين العربية والإنجليزية ونشرها في كبريات الصحف العربية والأجنبية

العرب
الجمعة 2025/12/19
السنة 48 العدد 13689

بين قداسة الكلمة ومرارة الواقع.. فيلم «شاعر» يفكك أوهام المثقف المهزوم

بين وهم الخلاص والسقوط في العدمية.. كيف حول سيمون ميسا بؤس شاعر إلى تحفة بصرية؟

يغوص فيلم "شاعر" للمخرج سيمون ميسا سوتو في حياة أوسكار، الشاعر الخمسيني المحبط الذي يصارع الإدمان والفشل الاجتماعي في أزقة ميديلين الكولومبية. وعبر محاولته العبثية لإنقاذ موهبة فتاة مراهقة، ينسج الفيلم دراما قاسية عن نرجسية المثقف وهشاشة الفن أمام قسوة الواقع، مؤكدا أن محاولة إنقاذ الآخرين ما هي إلا هروب من مواجهة الذات المنهزمة.

علي المسعود
كاتب عراقي

فيلم "شاعر" للمخرج الكولومبي سيمون ميسا سوتو يتمحور حول شاعر لم يوفر له الشعر أساسيات العيش الكريم، وهو الذي لا يجيد ولا يعشق سواه، فيتحول إلى إنسان مدمن بائس وتضطرب علاقاته بكل من حوله، بما فيهم ابنته التي أصبحت تخجل من سلوكه وهيئته. الفيلم عرض في مهرجان الجونة السينمائي وفاز بجائزته الذهبية، وقبل ذلك فاز بجائزة لجنة التحكيم في مهرجان كان السينمائي. وقد تم تصوير الفيلم بألوان جميلة مقاس 16 ملم من قبل المصور السينمائي خوان سارمينتو جي.

شاعر هجر الشعر

تدور أحداث القصة في ميديلين وتتبع أوسكار ريستريبو (الذي يلعبه أوبيمار ريوس)، وهو شاعر نشر كتابين في شبابه، وهو الآن في الخمسينات من عمره، يجد نفسه عاطلا عن العمل ومطلقا ويعيش مع والدته المسنة. يسكر ويجادل أصدقاءه في الشارع حول من هو أفضل شاعر كولومبي. تحثه أخته على العثور على وظيفة وتخبره بصراحة أنه سيكون بلا مأوى عندما تموت والدتهم، وتشعر ابنته المراهقة بالحرج من زيارته لمدرستها.

الفيلم يجنح أحيانا ليحلق في سينما التفلسف والتأمل في المصير الفردي لرجل فشل في أن يصبح شاعرا

يحاول الشاعر المتخم بالأحلام والأماني، أن ينسى خيبته في الانغماس في الكحول والسخرية. يقبل الوظيفة كمدرس شعر في مدرسة ثانوية في ميديلين. في الحي المكون من الطبقة العاملة، يلتقي بمراهقة تدعى يورليدي، موهوبة جداً في الشعر والرسم، ولكنها تفضل العمل في صالون الحلاقة وتصفيف الشعر وتلميع الأظافر على أن تصبح شاعرة؛ فهي فتاة صغيرة لا تدرك موهبتها.

دون تردد، سيحاول أوسكار إقناع يورليدي باستغلال موهبتها وتسجيلها في مسابقة شعرية للشباب، تصبح عنده بمثابة البديل لكل ما فشل هو في تحقيقه في مجال الشعر.

وأوبيمار ريوس الذي يقوم بدور الشاعر أوسكار هو ممثل غير محترف، لكنه بتكوينه الشكلي وقدرته على التماهي مع الشخصية بدت كما لو كانت تعكس مشاعره الذاتية الداخلية، فمنح الفيلم كل قوته وجاذبيته، ولا شك أن الفضل يعود إلى المخرج في قدرته على السيطرة الكاملة على الأداء، وعلى التجول داخل ذهنية إنسان يشعر أن العالم كان قاسيا عليه، لكنه سيصبح عندما يبدأ في مواجهة حقيقة نفسه وحقيقة قدراته، أكثر قدرة على تجاوز محنته.

علاوة على ذلك، فإن النظرة إلى الدعوة التحررية ولكن أيضا إلى الرهانات الاقتصادية للفن تسلط الضوء بشكل حاد على التناقضات وحتى التلاعب في بيئة سريعة. لا يتجاهل الفيلم الروائي الطويل القضايا الاجتماعية التي تمر عبر كولومبيا مع استقطاب قوي للطبقات الاجتماعية.

و"شاعر" هو الفيلم الروائي الثاني للمخرج سيمون ميسا سوتو، مثير للاهتمام لأنه يطور قصة غير عادية في السينما، قصة رجل مدهش يحتاج إلى الاعتراف بموهبته الشعرية، يحاول استعادة طعم الشعر. إنه أيضا وقبل كل شيء رجل مليء باللطف ومسالم ولا يؤذي ذبابة، على العكس من ذلك، فإن الأشخاص من حوله ليست نواياهم طيبة تجاهه دائما. كان يصر على البحث عن معنى لحياته بطريقة غير مقبولة تولد الانزعاج والقلق، بدءا من عائلته.

من ناحية أخرى، يكشف الفيلم بمهارة كبيرة عن العلاقة بين الأب وابنته، في مواجهة أب غائب على وجه الخصوص وليس له وجود في حياتها، في حين أن الرابطة التي يخلقها مع الطالبة الشابة صاحبة الموهبة الشعرية يورليدي جميلة جدا وصادقة؛ ربما تكون تعويضا عن الرابطة المفقودة مع ابنته.

يبدو فيلم المخرج الكولومبي سيمون ميسا سوتو "شاعر"، الذي تم عرضه في قسم "نظرة ما" في مهرجان كان السينمائي، وأعيد عرضه في مهرجان الجونة الأخير، وكأنه قصة رائعة أكثر من كونه قصيدة سينمائية. يصور هذا الفيلم بروح الدعابة المحاولات العبثية لهذا الرجل وكيف يسعى لكسب لقمة العيش من إبداعه بينما يفشل في إعالة نفسه. تتأرجح نغمة الفيلم بين العبثية والجدية والسخرية، وهو مزيج قد يبدو غير مستقر، لكن يتقنه سوتو ببراعة بفضل سرد دقيق وفعال. كما أن نجاح الفيلم في كونه بنكهة كوميدية ومؤثرا يجعله إنجازا رائعا.

لم يؤتني الشعر شيئا

أعوض نقصي بالاستثمار فيها

في أحد المشاهد، تنتهي الدعوة الكارثية لقراءة قصائده في حدث ثقافي بشكل سيء عندما يدخل المسرح في حالة سكر وينطلق في خطبة حول عدم جدوى حياة الفنان. أثناء الضحك على هذه التقلبات والمنعطفات، يكتشف الجمهور أيضاً أوسكار باعتباره خاسرا أبديا وحيدا يحب النساء في حياته ويتبع قانونه الأخلاقي الخاص. وعلى الرغم من أنه عنيد ولا هوادة فيه، إلا أنه يتمتع بحدس واضح لما كان ينبغي أن تكون عليه حياته.

يتجلى البعد الساخر لـ"شاعر" عندما يجد الشاعر أوسكار للطالبة يورليدي مكانا في مدرسة شعرية مرموقة. يفتتن مديرو المؤسسة الثقافية بموهبة الطالبة ويحاولون جعل هذه الفتاة السمراء الصغيرة ذات الأصول المتواضعة تعويذتهم الرابحة، ويستخدمونها لأغراض الدعاية والتبرعات. هذا الهجاء للمؤسسات الفنية وممثليها يبدو حقيقيا. يظهر المخرج سوتو هؤلاء المتظاهرين دون رضا عن الذات: فنانون يدعون أنهم مرشدون، ورعاة يستخدمون أموالهم وسلطتهم للوصول إلى عالم الفن واللعب في الانتماء إليه، والرعاة الأجانب الذين يرغبون في الظهور بمظهر تقدمي من خلال دعم الفن والأدب لأغراضهم ومقاصدهم الربحية.

ومع ذلك، ضمن هذا النقد الحاد، يحتفظ المخرج سوتو بتركيزه على العلاقة النامية بين يورليدي وأوسكار، قد لا يكون لديهما ما اعتقدا أنهما سيجدانه في بعضهما البعض، لكنهما ما زالا قادرين على إجراء التواصل والتلاقي.

يشكك الشاعر بصراحة في الشعر وقيمته لتبرير فشله، ويعتبر هذا الإبداع الأدبي قد عفى عليه الزمن في مجتمعنا الحديث؛ الشعر الذي أصبح علامة اجتماعية لأجيال متقدمة في السن وسط فورة التكنولوجيا والسوشيال ميديا. عندما يقدم أوسكار تلميذته الشابة، التي تلعب دورها ريبيكا أندرادي، ببراعة، لزملائه في جمعية الشعر، فإنهم يدركون موهبتها، لكنهم يطلبون منها كتابة "الشعر الاجتماعي"، لأن هذا هو ما هو متوقع منها، وما هو متوقع من فتاة من حي فقير. وهم على يقين من أن هذا هو ما سيرضي شخصية الراعي الأجنبي، وهي امرأة شقراء طويلة ذات ابتسامات خادعة.

ابنة ثانية

تعيش يورليدي مع عمها وعمتها وشقيقتيها، اللتين بالكاد خرجتا من سن المراهقة وهما أمان بالفعل، في غرفة مشتركة كبيرة حيث تتشابك ألحفتهن أمام جهاز تلفزيون مضاء.

لكن نظرة سيمون ميسا سوتو لا تقع أبداً في بؤرة البؤس: الشاعرة الشابة تحب حياتها، ولا تريد الخروج من أصولها، وتحلم فقط بأن تكون مصففة شعر، أو خبيرة تجميل، وأن تصبح أماً يوماً ما. الشاعر أوسكار وأحلامه العظيمة بالنجاح، بالإضافة إلى نرجسيته في غير محلها كمثقف، ستدفعه إلى تعاسته وسقوطه في الإدمان على الكحول واليأس.

وتبدو محاولات البطل لمساعدة يورليدي ضد إرادتها الحقيقية فهي تفضل أن تزين أظافرها مع صديقتها بدلاً من الذهاب إلى الندوة الشعرية حيث يتناوب الشعراء الشباب للتعبير عن مشاعرهم، وحده هو من يحاول إنقاذها ورعاية موهبتها في الشعر. إنه يود أن تصبح الشاعرة المعترف بها. كما أنه يعوض فشله مع ابنته، التي لم يعد حاضنا لها وتخجل منه ومن إدمانه للخمر. لكن المغزى من القصة يكاد يكون مريرا: أنت لا تنقذ نفسك بمحاولة إنقاذ شخص آخر، عليك أن تنقذ نفسك أولاً، لذا سيتعين على أوسكار أن يجد الطريق بطرق أخرى، بعد فشله المرير مع يورليدي في الحفل الذي كان من المفترض أن يكرس للتعريف بموهبتها.

يستعرض أوسكار اكتشافه للشعراء الشباب في الجمعية، ولكن الفتاة تخيب ظنه، وينتهي به الأمر في حالة سكر وفاقدا للوعي بعد شرب الشمبانيا.

في الفصل الثالث، تنهار العلاقة بين أوسكار ويورليدي. تصبح العلاقة بينهما هي النواة الدرامية للفيلم. إنه يسقط عليها كل ما يعتقد أنه فقده: الموهبة، والنقاء، والشباب، والإمكانات. ومع ذلك، فهي لا تريد أن تُنقذ أو تُشكل. يتفادى الفيلم بذكاء المجاز المبتذل صورة "المرشد القديم الذي استعادته ملهمة شابة"، وبدلاً من ذلك يكشف كيف يمكن أن تصبح هذه الديناميكية أنانية، وحتى هالة الفداء أو الادعاء الشعري تصبح خطيرة.

تساءل المخرج ميسا سوتو عن شخصية الفنان أو الشاعر كمنقذ، والمعلم كمرشد أخلاقي، والرجل كوصي على موهبة الآخرين، في أحد أقوى مشاهد الفيلم حين تواجه يورليدي أوسكار بسؤال مدمر: "هل هذا حقاً بسببي، أم لأنك لا تستطيع الكتابة بعد الآن؟" صمت أوسكار يستحق أكثر من أي قصيدة.

المخرج يتساءل عن شخصية الفنان أو الشاعر كمنقذ، والمعلم كمرشد أخلاقي، والرجل كوصي على موهبة الآخرين

والسيناريو، الذي كتبه ميسا سوتو أيضا، يتحرك بذكاء بين الشفقة والمهزلة والنقد الاجتماعي، دون أن يفقد الإيقاع، وتبدو كل لقطة من لقطات الفيلم كما لو كانت منتزعة من قلب الواقع، لكن الفيلم يجنح أحيانا خارج الواقع، ويحلق في سينما التفلسف والتأمل في المصير الفردي لرجل فشل في أن يصبح شاعرا رغم تحقيق بعض النجاح في الماضي كشاعر، لكنه فشل بعد ذلك في أن ينمي موهبته، وكما فشل في أن يكون زوجا صالحا أو أبا لابنته التي هجرها، وهام على وجهه وظل يبحث عن ذاته، وعن نفسه الضائعة. أصبح يعيش مع أمه العجوز، ولا تكف شقيقته عن اتهامه بالفاشل وبأنه أصبح عاطلا عن العمل.

هذا الشاعر، أي أوسكار، الذي يعتقد أنه شاعر موهوب رغم أنف الجميع ورغم أن موهبته لم يعد لها وجود، يتوقف باستمرار أمام مجموعة الأشعار التي كتبها في الماضي البعيد وأظهرت موهبته وكفلت له الفوز بجائزة أدبية رفيعة. إلا أنه في ولعه الشديد بمثله الأعلى، الشاعر الكولومبي خوسيه سيلفا الذي أنهى حياته بطلقة مسدس وهو في الثلاثين من عمره، يشعر بالرغبة في هجر الحياة بالمعنى التقليدي، فلديه نزعة لتدمير الذات، فقد أدمن على الكحول واللهو والتشاجر مع أصدقائه.

لذلك يبدو الفيلم أشبه بتأملات عميقة حول عمليته الإبداعية؛ أوضح المخرج ميسا أن السيناريو كتب قبل وقت طويل من التمثيل، مع شخصية محددة بالفعل في جوهرها: شاعر محاصر في تناقضات منتصف العمر وعدم الاستقرار والصور النمطية الاجتماعية.

شاعر لم يوفر له الشعر أساسيات العيش الكريم فيتحول إلى إنسان مدمن بائس وتضطرب علاقاته بكل من حوله

ويلعب أوبيمار ريوس، أستاذ الفلسفة البالغ من العمر 54 عاماً وليس لديه خبرة في التمثيل، دور أوسكار ريستريبو، عن ذلك قال المخرج "في البداية كنت أرغب في الحصول على ممثل محترف، لكن أحد الأصدقاء أرسل لي ملف عمله وقال: هذا شاعرك. ترددت لأنه كان خاصاً جداً".

وتابع "كان التصوير في ميديلين شيئا طبيعيا جدا بالنسبة لي، لأنها مدينتي، لقد ولدت وترعرعت هناك وما زلت أعيش هناك. لا أحاول تمثيلها بطريقة معينة: إنها ببساطة جزء مني. اهتمامي الرئيسي هو الشخصيات. هم الذين يروون قصة المدينة من خلال الطريقة التي يتحدثون بها ويلبسون ويتحركون ويشعرون بها".

وأضاف المخرج "أشعر بالحاجة إلى إظهار ميديلين بلقطات كبيرة أو صور رمزية. تعيش المدينة من خلالهم، في إيماءاتهم، عواطفهم، علاقاتهم. أنا أنتمي إلى طبقة متوسطة، مثل الشاعر في الفيلم، لكنني أيضاً أذهب إلى أحياء مختلفة، وأرى تنوع الحياة اليومية".

وأوضح "في الفيلم، نجد بشكل طبيعي الرموز الاجتماعية لميديلين: قوة الأمهات، والتضامن الأسري، والعلامات الصغيرة للحياة الكولومبية؛ التذاكر، والمنازل، والروابط المجتمعية. ما يثير اهتمامي هو الحياة لأنها تتجلى من خلال الناس".

وفي النهاية يؤكد الفيلم أن الشعر شيء أكثر أصالة، وأنه موجود حتى لو كنا غير مدركين له. علاوة على ذلك، فإن الرجل يرفض "بيع نفسه" لتسويق موهبته التي يفترض أنها مقدسة وذات صلة، ضائعة في كتابين صغيرين متوفرين في مكتبات ميديلين، وحين تمت دعوته إلى برنامج تلفزيوني كان عاجزا عن الكلام، تاركا مسؤولا في المدينة ومغنيا يغني شيئا ليست له قيمة أو معنى.

العرب
الجمعة 2025/12/19
السنة 48 العدد 13689

ثنائية التحرر والاستعباد في عصر الذكاء الاصطناعي

من النفط إلى الخوارزميات: إعادة تشكيل ميزان القوى العالمي

الـذكاء الاصطناعي اليوم هو المورد الجديد الذي يحدد مصائر الأمم. إنه الوقود الرقمي، الذي يمنح السيطرة الاقتصادية والعسكرية والجيوسياسية لمن يملك بياناته وخوارزمياته. وفي سـباق محموم بين القوى الكبرى، يبدو العالـم العربي في موقع المتلقي والغائب، ما يطرح سـؤالاً مصيريّا: كيف يمكن تحول هذا التحدي إلى فرصة، وتجنب فخ التبعية الرقمية في القرن الحادي والعشرين؟

علي قاسم
كاتب سوري

البيانات، المادة الخام للقوة في العصر الرقمي

في القرن العشرين أعاد النفط تعريف الجغرافيا السياسية والاقتصادية العالمية، فكان محركا للثورات الصناعية، وحجر الزاوية في تشكيل التحالفات الدولية، ومصدرا للثروات والنزاعات على حد سواء. اليوم، في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، تتجلى ملامح مورد إستراتيجي جديد، يحمل في طياته القدرة التحويلية ذاتها، بل ويفوقها تعقيدا وشمولية: الذكاء الاصطناعي. لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد حقل من حقول علوم الكمبيوتر، أو أداة لتحسين الكفاءة، بل تحول إلى "رأسمال القرن الجديد"، وأصبح المادة الخام الأساسية للقوة في العصر الرقمي. إنه يشبه النفط في كونه مادة أولية حيوية تتحكم في مسار الاقتصادات والأمن، لكنه يختلف عنه جوهريا في طبيعته اللامادية، وسرعة انتشاره، وقدرته على التعلم الذاتي وإعادة التشكيل.

إيمانويل ماكرون

الذكاء الاصطناعي ليس مجرد تقنية، إنه مشروع حضاري أخلاقيّ

ساتيا ناديلا

الذكاء الاصطناعي يجب أن يُبنى على الثقة؛ من دونها لن يكون مستدامًا

إريك شميدت

الذكاء الاصطناعي هو النفط الجديد لكنه أكثر تعقيدًا لأنه يتعلم

أورسولا فون دير لاين

السيادة الرقمية ليست رفاهية؛ إنها ضرورة إستراتيجية لأوروبا

تتعامل القوى الكبرى -الولايات المتحدة والصين في الصدارة، تليهما الكتلة الأوروبية والهند- مع الذكاء الاصطناعي باعتباره محورا للهيمنة الجيوسياسية، فتصوغ له الإستراتيجيات الوطنية، وتضخ الاستثمارات الهائلة، وتخوض معارك التنظيم والمعايير. أما العالم العربي فيقف في حالة من التردد والتبعية، يتنقل بين موقع المتلقي السلبي للتكنولوجيا، والغائب عن طاولة صناع القرار العالمي في هذا الشأن. يُظهر هذا المقال كيف يعيد الذكاء الاصطناعي تشكيل ميزان القوى العالمي، ليس فقط من خلال التفوق الاقتصادي، بل عبر إعادة تعريف مفاهيم السيادة والأمن والهوية. ويناقش المخاطر الوجودية والفرص الضائعة التي يواجهها العالم العربي في ظل غياب رؤية إستراتيجية جماعية، داعيا إلى اعتبار السيادة على الذكاء الاصطناعي معركة مصيرية لا تقل أهمية عن السيادة على الموارد الطبيعية.

صراع الهيمنة الرقمية

يمثل الذكاء الاصطناعي اليوم الحلقة المركزية في صراع القوى العظمى، وهو صراع يتجاوز المنافسة التكنولوجية البحتة إلى إعادة هندسة النظام الدولي ذاته. في الولايات المتحدة تحول الذكاء الاصطناعي إلى "قضية أمن قومي" بامتياز، كما نصت إستراتيجيات البيت الأبيض المتعاقبة. لا تقتصر الهيمنة الأميركية على ريادة البحث الأكاديمي فحسب، بل تُترجم إلى سيطرة شبه احتكارية عبر شركات «الغنوم» التي تمتلك البنى التحتية السحابية ومصادر البيانات الضخمة وتطور النماذج المؤسسية (Foundation Models). هذه السيطرة الاقتصادية مدعومة بتكامل عسكري – صناعي، حيث تتعاون هذه الشركات مع البنتاغون في مشاريع من تحليل الصور الاستخباراتية إلى تطوير أنظمة القتال المستقلة، وتعززها تحالفات مثل "أوكوس" (AUKUS) التي تملك بعداً تقنيا – أمنيا واضحا.

من ناحيتها تتبع الصين نموذج الدولة المحورية، وهو نموذج طموح ومجسَّد في خطة "الجيل الجديد للذكاء الاصطناعي" (2017)، التي تستهدف الريادة العالمية بحلول 2030. تعتمد الصين على ميزتين رئيسيتين: أولاً، حجم البيانات الهائل الناتج عن تعدادها السكاني ونظامها الرقابي الشامل، ما يوفر "وقودا" لا ينضب لتدريب الخوارزميات. ثانيا، دمج الذكاء الاصطناعي في نسيج الحوكمة عبر مشروع "الحوكمة الذكية" والرقابة الاجتماعية، وفي الجيش عبر برامج الأسلحة المستقلة والمتسارعة. إنها تقدم نموذجا بديلاً للهيمنة الرقمية، قائماً على السيادة التكنولوجية الكاملة والانفصال التدريجي عن المنظومة الغربية.

أما الاتحاد الأوروبي فيسعى إلى لعب دور "المُنظِم العالمي"، محاولاً تعويض تأخره النسبي في المنافسة التكنولوجية – الاقتصادية بالريادة الأخلاقية والتشريعية. تجسد ذلك في "قانون الذكاء الاصطناعي" الذي يفرض تصنيفاً للمخاطر ويحظر تطبيقات معينة، في محاولة لفرض معاييره عالمياً. وفي الوقت ذاته تحاول أوروبا بناء قدراتها السيادية في الحوسبة فائقة الأداء والنماذج اللغوية. وفي الجناح الآسيوي تبرز الهند كقوة صاعدة، مستفيدةً من قاعدة هائلة من المبرمجين والبيانات الرقمية، وتسخير الذكاء الاصطناعي لأهداف تنموية ضخمة في الصحة والزراعة والإدارة.

التشبيه بالنفط هنا ليس مجازيًا. فإذا كان النفط يمنح القوة لمن يسيطر على مصادره وخطوط إمداده، فإن الذكاء الاصطناعي يمنح القوة لمن يسيطر على "مناجم" البيانات (Data Mines) و"مصافي" الخوارزميات (Algorithmic Refineries) وشبكات الحوسبة السحابية. ولكن، بينما تتسم حقول النفط بالندرة والتمركز الجغرافي، فإن "الوقود الرقمي" (البيانات) يتولد في كل مكان، ويتدفق عبر الحدود، ما يجعل السيطرة عليه أكثر تعقيدا وأكثر شمولية. الفائز في هذا السباق لا يكتسب تفوقا اقتصاديا فقط (حيث تُقدر إضافة الذكاء الاصطناعي لتريليونات الدولارات للناتج العالمي)، بل يمتلك قدرة غير مسبوقة على التشكيل الثقافي (من خلال نماذج اللغة والتوصيات)، والاستباق الأمني (بتحليل الأنماط والتوقعات)، وإعادة تعريف السيادة ذاتها، التي لم تعد تقتصر على الأرض والحدود، بل تمتد إلى الفضاء السيبراني ونظم اتخاذ القرار الآلي.

المخاطر والفرص

يحمل الذكاء الاصطناعي تناقضا جوهريا، فهو أداة ذات حدين يمكن أن تكون مصدر تحرر غير مسبوق للإنسانية، أو أداة لهيمنة واستبداد لم نعرفها من قبل. من أبرز المخاطر الماثلة:

العسكرة وسباق التسلح الجديد: أدى اندماج الذكاء الاصطناعي في المجال العسكري إلى ظهور جيل جديد من الأسلحة الفتاكة الذاتية، التي تقرر استهداف وتدمير أهداف دون تدخل بشري مباشر. هذا يثير إشكاليات أخلاقية وقانونية عميقة، ويخاطر بزعزعة الاستقرار الإستراتيجي، حيث قد تندلع الصراعات بسرعة لا تتيح فرصة للتدخل البشري لوقفها. كما يخلق سباق تسلح جديدا تعتمد فيه القوة ليس على عدد الرؤوس الحربية، بل على تفوق الخوارزميات وسرعة معالجة البيانات.

● تآكل السيادة والفجوة الرقمية: قد يؤدي تفوق القلة من الدول والشركات إلى خلق "استعمار رقمي" جديد، حيث تتحول أغلب دول العالم إلى مجرد موردين للبيانات الخام ومستهلكين للتطبيقات الجاهزة، دون قدرة على فهم أو التحكم في الأنظمة التي تحكم حياتها. وهذا يعمق الفجوة الرقمية ليس فقط في الوصول، بل في القدرة على الإنتاج والابتكار، مهددا بتحويل الفوارق الاقتصادية إلى فجوات لا يمكن تجاوزها.

التحديات المجتمعية والأخلاقية: يشكل الذكاء الاصطناعي تهديدا لسوق العمل عبر الأتمتة المتسارعة، لا للوظائف الروتينية فحسب، بل لبعض المهام المعرفية المتوسطة. كما أن الخوارزميات ليست محايدة، بل يمكن أن تكرّس وتحسّن التحيزات الموجودة في البيانات التي تدرب عليها، ما يؤدي إلى تمييز منهجي ضد فئات معينة في مجالات التوظيف والقروض والعدالة الجنائية، إضافة إلى ذلك، تهدد أدوات التزييف العميق (Deepfakes) والمراقبة التنبئية الأسس المجتمعية للحقيقة والثقة والخصوصية.

لكن في المقابل يفتح الذكاء الاصطناعي آفاقا ويتيح فرصا لا حدود لها:

● قفزة نوعية في الخدمات الأساسية: في مجال الصحة، يمكن أن يؤدي إلى ثورة في التشخيص المبكر والدقيق، وتطوير أدوية شخصية، وتحسين إدارة الأنظمة الصحية. في التعليم، يمكن أن يمكّن التعلم الشخصي الذي يتكيف مع قدرات كل طالب. في إدارة المدن والموارد، يمكنه تحسين تدفق المرور، وإدارة الطاقة والمياه بكفاءة، والتنبؤ بالكوارث الطبيعية.

● دفع عجلة الابتكار والإنتاجية: يمكن أن يعمل الذكاء الاصطناعي كمضاعف قوي للإبداع البشري، حيث يساعد العلماء على اكتشاف مواد جديدة، والمهندسين على تصميم أنظمة معقدة، والكتاب والفنانين على استكشاف أشكال تعبير مبتكرة. ويمكن أن يؤدي إلى زيادات هائلة في الإنتاجية عبر أتمتة العمليات وتحسين سلاسل التوريد.

مواجهة التحديات العالمية: يمكن أن يكون الذكاء الاصطناعي سلاحا حاسما في معركة تغير المناخ، من خلال تحسين نماذج التنبؤ المناخي، وتحسين كفاءة شبكات الطاقة المتجددة، وتطوير مواد صديقة للبيئة.

التحدي العالمي الحقيقي ليس تقنيا فقط، بل حوكمي وأخلاقي أيضا: كيف يمكن استغلال هذه الفرص الهائلة مع تخفيف المخاطر الكارثية؟ وكيف يمكن بناء إطار دولي يمنع الاستخدام الضار ويضمن توزيعا عادلا لمنافع هذه التقنية؟ هذان السؤالان لا يزالان بلا إجابات واضحة، وهو ما يشكل إحدى أهم ساحات التنافس الجيوسياسي المعاصر.

فخ الاستهلاك

في خضم هذا التحول الكوني يبدو الموقف العربي مأزوما ومتأخرا، وهو ما يعكس أزمة هيكلية في النموذج التنموي والإستراتيجي السائد. يمكن تلخيص مظاهر هذا التأخر في النقاط التالية:

● غياب الإستراتيجية الجماعية والتبعيةُ التكنولوجية: لا توجد حتى الآن رؤية عربية مشتركة أو إطار تعاوني إستراتيجي للذكاء الاصطناعي يماثل ما هو موجود في الاتحاد الأوروبي أو حتى تجمعات إقليمية أخرى. الجهود –وإن كانت موجودة وجدية في بعض الحالات كالإمارات العربية المتحدة (إستراتيجية الذكاء الاصطناعي 2031) والمملكة العربية السعودية (برنامج الذكاء الاصطناعي في رؤية 2030) ومصر– تبقى جهودا وطنية متناثرة، تفتقر إلى التكامل وتوحيد الموارد والرؤى. النتيجة هي اعتماد شبه كلي على التقنيات والحلول والمنصات المستوردة، ما يخلق تبعية رقمية خطيرة. فالدول العربية تستهلك منتجات الذكاء الاصطناعي (كالأنظمة السحابية وواجهات البرمجة للتطبيقات الجاهزة) دون امتلاك القدرة الأساسية على تطوير نماذجها المؤسسية أو حتى تعديلها بشكل جذري لتناسب سياقاتها الثقافية واللغوية.

● خسارة السيادة على البيانات والأمن القومي: البيانات هي الذهب الجديد. ومع استيراد المنصات والخدمات، تتدفق كميات هائلة من البيانات الحساسة للمواطنين العرب (الاجتماعية، الصحية، السلوكية، المالية) إلى خوادم خارجية تخضع لقوانين وسياسات أجنبية. هذا يمثل انتهاكا صريحا للسيادة الرقمية، ويجعل الدول العربية عرضة للتجسس الاقتصادي والسياسي، والابتزاز، والتأثير غير المباشر على قراراتها الداخلية عبر التلاعب الخوارزمي. والأكثر خطورة هو ارتباط الذكاء الاصطناعي بملفات الأمن الحيوية: فالدفاع السيبراني، وإدارة الحدود والهجرة، ومراقبة البنى التحتية الحيوية (كمنشآت النفط والغاز والمياه)، كلها تعتمد بشكل متزايد على أنظمة ذكية. الاعتماد على مورد خارجي في هذه المجالات يخلق "نقطة فشل واحدة" كارثية في الأمن القومي.

* فجوة المهارات وهدر الطاقات البشرية: النظام التعليمي في معظم الدول العربية لا يزال عاجزا عن إنتاج الكوادر المؤهلة لسباق الذكاء الاصطناعي. هناك نقص حاد في المتخصصين في علوم البيانات والتعلم الآلي والهندسة، بينما تُهدر طاقات شابة هائلة. حتى عندما يتم تأهيل كوادر عالية المستوى، فإن بيئة الابتكار المحلية غير الجاذبة (من حيث البحث العلمي وروح المغامرة وتمويل الشركات الناشئة) تدفع العديد من الأدمغة إلى الهجرة (هجرة الأدمغة)، ما يعمق دائرة التبعية.

* الفرص الضائعة في القطاعات الحيوية: يمتلك العالم العربي فرصا ذهبية لتوظيف الذكاء الاصطناعي في قطاعاته الإستراتيجية، لكنها تبقى غير مستغلة بالكامل. في قطاع الطاقة، يمكن أن يحسن الذكاء الاصطناعي عمليات الاستكشاف والاستخراج وإدارة الشبكات، بل ويسرع التحول نحو الاقتصاد الأخضر. في القطاع الزراعي، يمكن أن يساعد في مواجهة شح المياه عبر أنظمة الري الذكية، وزيادة الإنتاجية. في المجال الثقافي، يمكن أن يكون أداة حيوية لحفظ التراث اللغوي والثقافي الهش، وتطوير محتوى رقمي عربي أصيل.

إذا كان النفط يمنح القوة لمن يسيطر على مصادره فإن الذكاء الاصطناعي يمنح القوة لمن يسيطر على مناجم البيانات

معركة وجود

الذكاء الاصطناعي ليس ترفا تقنيا ولا موضة عابرة؛ إنه محدد مصيري للقوة والضعف، للسيادة والتبعية، في القرن الحادي والعشرين. التشبيه بنفط القرن العشرين قائم، لكن مع فارق حاسم: فالنفط مورد ناضب، بينما الذكاء الاصطناعي مورد توليدي، تزداد قيمته وقوته كلما استُخدم. الدول العربية التي تأخرت في تحويل ثروة النفط إلى اقتصاد معرفي متنوع ومستدام، تقف اليوم على حافة منعطف تاريخي: إما أن تكرر الخطأ نفسه مع "نفط العصر الجديد"، فتبقى مستهلكة على هامش الثورة، أو تدرك أن المعركة قد بدأت وتتحرك بسرعة وإرادة سياسية حقيقية.

إن صياغة رؤية إستراتيجية عربية للذكاء الاصطناعي لم تعد خيارا، بل ضرورة وجودية. هذه الرؤية يجب أن تنطلق من الأسس التالية:

الغياب عن سباق الذكاء الاصطناعي اليوم ليس مجرد خسارة اقتصادية، بل هو تنازل طوعي عن أجزاء من السيادة القومية

بناء السيادة الرقمية، عبر الاستثمار المركّز في تطوير بنى تحتية حاسوبية وطنية/إقليمية فائقة الأداء، وإنشاء مراكز بيانات ضخمة تحفظ البيانات الحساسة محليا، والسعي لتطوير نماذج لغوية عربية كبيرة مفتوحة المصدر أو خاضعة للرقابة الوطنية.

توحيد الجهود إقليميا، والمبادرة إلى إنشاء منصة عربية مشتركة للبحث والتطوير في الذكاء الاصطناعي، تجمع الموارد المالية والعلمية، وتوحد المواقف التفاوضية في المحافل الدولية المعنية بتنظيم الذكاء الاصطناعي، وتصوغ إطارا أخلاقيا وقانونيا عربيا يحمي الخصوصية والقيم المجتمعية.

وإصلاح جذري للنظام التعليمي والبحثي، بالعمل على إعادة توجيه المناهج نحو العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات (STEM) والتفكير النقدي، مع استثمار ضخم في جامعات البحث ومراكز التميز. يجب أن يصبح إنتاج المعرفة، وليس استهلاكها، الهدف الإستراتيجي.

وأخيرا، توظيف الذكاء الاصطناعي في التنمية المستدامة، وتحديد الأولويات القطاعية (كالمياه والصحة والطاقة والتعليم) وتوجيه الابتكار نحوها، لتحقيق قفزة تنموية حقيقية تحسن حياة المواطن وتضمن الاستقرار الاجتماعي.

الرسالة الموجهة لصناع القرار العرب واضحة: الغياب عن سباق الذكاء الاصطناعي اليوم ليس مجرد خسارة اقتصادية، بل هو تنازل طوعي عن أجزاء من السيادة القومية، وعن القدرة على تشكيل المستقبل. إنه قبول بدور المتفرج في مسرح تُكتب فيه مصائر الأمم. الذكاء الاصطناعي هو معركة هذا العصر، ومعركة السيادة الرقمية هي معركة العرب الجديدة. إما أن يخوضوها بوعي وجدية، أو يجدوا أنفسهم، قريبا، خارج التاريخ.

العرب
الجمعة 2025/12/19
السنة 48 العدد 13689

«كان» المغرب بوابة منتخب الجزائر للعودة إلى الواجهة الأفريقية

إرث جمال بلماضي يزيد الضغوط على بيتكوفيتش

يستعد منتخب الجزائر للظهور في نهائيات بطولة كأس أمم أفريقيا لكرة القدم بحلم متجدد يحمله لاعبون مخضرمون وآخرون من الجيل الجديد ممن يملكون المهارة والرغبة والطموح في كتابة تاريخ جديد للكرة الجزائرية. وترقب المتتبعون بشغف كبير هذه المشاركة، لحامل اللقب مرتين، في نهائيات بطولة كأس أمم أفريقيا لكرة القدم 2025، بعد صدمة الخروج المدوي من الدور الأول في النسختين الأخيرتين.

الجزائر - لا يزال هدف "محاربي الصحراء" في بطولة كأس أمم أفريقيا المغرب 2025 يثير جدلا متزايدا بين النقاد والمتتبعين، إذ يرى البعض أن اتحاد الكرة ارتكب خطأ عندما حدد المرور إلى الدور الثاني كهدف رئيسي بدعوى أن منتخبا بحجم الجزائر لا يجب أن يرضى بغير المنافسة على اللقب. في المقابل ذهب آخرون إلى تبني "الرواية الرسمية" التي تلتزم التحفظ خشية تكرار سيناريو دورتي الكاميرون وكوت ديفوار السابقتين التي عجز فيهما "الخضر" عن تحقيق أي انتصار مقابل 3 هزائم و3 تعادلات.

سجل متواضع

ولم ينجح فلاديمير بيتكوفيتش، المدير الفني لمنتخب الجزائر، في حسم هذا الجدل، عندما قال إن هدفه واتحاد الكرة واحد، وهو تحقيق الفوز في كل مباراة والذهاب إلى أبعد حد ممكن. حديث بيتكوفيتش وضعه منير واصل، مدير تحرير اليومية الرياضية المتخصصة في كرة القدم (كومبتيسيون)، في خانة "التصريحات الدبلوماسية" بهدف تخفيف الضغط.

وبلغة الأرقام لا يملك المنتخب الجزائري سجلا مبهرا مقارنة بمنتخبات مصر والكاميرون وغانا على سبيل الحصر، إذ لم يفز باللقب سوى مرتين (1990 بالجزائر و2019 بمصر)، وخسر النهائي مرة واحدة في نسخة عام 1980 أمام نيجيريا صاحبة الأرض، وحصل على المركز الثالث مرتين (1984 و1988)، وجاء في المركز الرابع مرتين أيضا (1982 و2010).

كما بلغ المنتخب الجزائري دور الثمانية 4 مرات (1996 و2000 و2004 و2015)، لكنه خرج من الدور الأول 9 مرات. ولعب المنتخب الجزائري على مدار 20 مشاركة سابقة 80 مباراة، فاز في 28 منها وخسر في مثلها، مقابل 24 تعادلا، وسجل هجومه 97 هدفا مقابل تلقي شباكه 93 هدفا.

> من مجموعة 28 لاعبا الذين اختارهم بيتكوفيتش، لرفع التحدي في المغرب، يبرز 16 لاعبا شاركوا في نسخة عام 2023

والمفارقة أن المنتخب الجزائري عندما توج باللقب لأول مرة حين أقيمت بطولة كأس أمم أفريقيا على أرضه عام 1990، سجل 13 هدفا مقابل تلقيه هدفين من مجموع 5 مباريات فاز بها كلها، وهي نفس الحصيلة الرقمية من الأهداف التي قادته إلى التتويج القاري للمرة الثانية في دورة مصر عام 2019، لكن بعدما لعب 7 مباريات (فاز في 6 وتعادل في واحدة قبل أن يحسمها بركلات الترجيح أمام كوت ديفوار في ربع النهائي).

اعتاد المنتخب الجزائري على تقديم أداء أفضل عندما تقام البطولة في شمال أفريقيا، وربما كان للعوامل المناخية المساعدة دور في ذلك، وبلا شك فهو يتطلع إلى التألق مجددا على الساحة القارية من بوابة المغرب الذي انتزع فيه المركز الثالث على حساب "أسود الأطلس" خلال نسخة عام 1988. ويلعب المنتخب الجزائري في المجموعة الخامسة بمرحلة المجموعات، إلى جانب السودان وبوركينا فاسو وغينيا الاستوائية.

ومن مجموعة 28 لاعبا الذين اختارهم بيتكوفيتش، لرفع التحدي في المغرب، يبرز 16 لاعبا شاركوا في نسخة عام 2023، و10 في نسخة 2021، و7 توجوا باللقب القاري عام 2019، و4 كانوا ضمن الفريق الذي خرج من الدور الأول لنسخة عام 2017 ويتعلق الأمر بعيسى ماندي ورامي بن سبعيني وإسماعيل بن ناصر ورياض محرز.

ويستهدف ماندي ومحرز معادلة الرقم القياسي المسجل باسم الأسطورة رابح ماجر، ولاعب الوسط محيي الدين مفتاح، كأكثر اللاعبين الجزائريين مشاركة في كأس أمم أفريقيا (6 دورات)، حيث لم يغيبا عن البطولة القارية منذ نسخة عام 2015.

يقول مراد وردي، المدرب والناقد الرياضي، لوكالة الأنباء الألمانية (د ب أ) إن "المنتخب الجزائري يملك مجموعة ثرية تضم مزيجا من اللاعبين ذوي الخبرة والشباب، وقادرة على صنع الفارق"، غير أنه استدرك بخصوص حراس المرمى، وأبدى تحفظا كبيرا حول استدعاء أنتوني ماندريا، الذي يلعب مع نادي كان في دوري الدرجة الثالثة الفرنسي.

واسترسل قائلا "المؤكد أن بيتكوفيتش اختار أفضل اللاعبين من الناحية الفنية والجاهزية الآنية، هم لاعبون بإمكانهم صنع الفارق أمام أي منافس، رغم أنني كنت أتمنى تواجد لاعب الوسط فيكتور لكحل، كما لدي تحفظ كبير على منصب مهم جدا وهو حارس المرمى، لست واثقا من صواب قرار المدرب في هذا الخصوص".

وأعرب وردي عن أمله في أن يستخلص منتخب الجزائر الدروس من مشاركته المخيبة للآمال في آخر نسختين، داعيا إلى عدم ارتداء ثوب المرشح في مواجهة ما وصفه بـ"المنتخبات المتواضعة" التي يتعين الحذر منها. ويستهل المنتخب الجزائري مشاركته في أمم أفريقيا 2025 بمواجهة السودان يوم 24 ديسمبر الجاري، ثم منتخب بوركينا فاسو بعد 4 أيام من ذلك، على أن يختتم دور المجموعات بملاقاة غينيا الاستوائية يوم 31 من الشهر ذاته.

قائمة المنتقدين

انضم سمير نصري، لاعب أرسنال ومانشستر سيتي الإنجليزيين السابق إلى القائمة الطويلة لمنتقدي المدير الفني لمنتخب الجزائر لكرة القدم، فلاديمير بيتكوفيتش، الذي سيواجه أكثر من اختبار عندما تنطلق بطولة كأس أمم أفريقيا 2025 في المغرب. لم يغرد نصري، نجم نادي أولمبيك مارسيليا ومنتخب فرنسا السابق، بالتأكيد خارج السرب، بل عكس انطباعا سائدا في الجزائر، مفاده أن بيتكوفيتش لم ينجح حتى الآن في امتلاك قلوب الجماهير مثلما فعل سلفه جمال بلماضي.

عندما يقول نصري، المولود لأبوين من المهاجرين الجزائريين والمعروف بشخصيته القوية، إن طريقة بيتكوفيتش لا تعجبه، فهو بذلك يدعم حجج أولئك الذين لا يرون في البوسني – السويسري المدرب المناسب لكتيبة "محاربي الصحراء".

وقبل نصري خرج شيخ المدربين، رابح سعدان، للدفاع عن بيتكوفيتش، حيث وصفه بالمدرب الكبير الذي "يقوم بعمل مدروس سيفيد المنتخب مستقبلا"، داعيا الجزائريين إلى دعمه، إلا أنه تعرض لانتقادات لاذعة من قبل نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي.

خطوات حاسمة

لكن ما الذي يدفع قطاع واسع من النقاد والإعلاميين والنشطاء إلى انتقاد بيتكوفيتش، رغم أنه صعد مع "الخضر" لنهائيات كأس العالم 2026، بعد الغياب عن النسختين السابقتين، والتأهل بسهولة لنهائيات كأس أمم أفريقيا؟

الحصيلة الرقمية تؤكد أن بيتكوفيتش نجح في تحقيق الأهداف المتفق عليها مع اتحاد الكرة الجزائري الذي تعاقد معه نهاية فبراير 2024. وقاد بيتكوفيتش، منتخب الجزائر في 21 مباراة، فاز في 16 (منها 13 رسمية، و3 ودية)، وتعادل في 3 مواجهات منها لقاء ودي واحد، وانهزم في مباراتين (واحدة رسمية وأخرى ودية).

لكن الأداء العام لم يعجب بعض الجزائريين الذين يعتقدون أن منتخب بلادهم حجز مقعده في المونديال بسبب النظام الجديد الذي منح أفريقيا 9 بطاقات تأهل مباشرة، أما التأهل إلى أمم أفريقيا فيعتبرونه تحصيل حاصل لضعف المنافسة.

إنريكي يواصل حصد الألقاب.. سان جرمان يمنح فرنسا أول ألقاب كأس القارات

الدوحة - صد الحارس الروسي ماتفي سافونوف أربع ركلات ترجيحية ومنح باريس سان جرمان، بطل أوروبا، شرف أن يصبح أول فريق فرنسي يحرز لقب كأس القارات للأندية لكرة القدم، بفوزه على فلامنغو البرازيلي بطل أميركا الجنوبية 2 – 1 بعد التعادل 1–1 في الوقتين الأصلي والإضافي، على ملعب أحمد بن علي في الدوحة.

وسجل الجورجي خفيتشا كفاراتسخيليا هدف سان جرمان، والإيطالي المولود في البرازيل جورجينيو هدف فلامنغو (62 من ركلة جزاء)، قبل أن يصد سافونوف أربع ركلات ويمنح فريق العاصمة اللقب.

وقال المدرب الإسباني لويس إنريكي خلال المؤتمر الصحفي "أعتقد أن تكرار هذا الموسم مع باريس سان جرمان سيكون أمرا مستحيلا. إنه موسم لا يُنسى". صحيح أن سان جرمان، المملوك لقطر، ليس الفريق الفرنسي الأول الذي يحرز دوري أبطال أوروبا، إذ سبقه إلى ذلك غريمه مرسيليا عام 1993، لكن النادي المتوسطي حُرِمَ من خوض كأس القارات بسبب فضيحة التلاعب بنتائج المباريات.

في المقابل أخفق فلامنغو، بطل 1981، في إنهاء سيطرة أوروبية على المسابقة بكافة أشكالها وصيغها ومنح أميركا الجنوبية لقبها الأول منذ 2012 عندما توج مواطنه كورنثيانز على حساب تشلسي.

> فلامنغو، بطل 1981، أخفق في إنهاء سيطرة أوروبية على المسابقة ومنح أميركا الجنوبية لقبها الأول منذ 2012

وبلغ فلامنغو النهائي بعد فوزه على كروس أسول المكسيكي بطل كونكاكاف 2 – 1 وبيراميدز المصري بطل أفريقيا 2 – 0، فيما خاض سان جرمان مباراة يتيمة في المسابقة. وأعرب لويس إنريكي، المدير الفني لفريق باريس سان جرمان الفرنسي لكرة القدم، عن سعادته البالغة بمواصلة فريقه حصد الألقاب خلال عام 2025، عقب تتويجه بلقب كأس القارات للأندية (كأس إنتر كونتيننتال).

وقال إنريكي في المؤتمر الصحفي عقب المباراة "نحن سعداء بالفوز باللقب وسنحافظ على مسيرتنا المتوازنة في السعي لحصد المزيد من البطولات، وأريد توجيه التهنئة لكافة اللاعبين ونهدي اللقب لجماهيرنا". وأضاف المدرب الإسباني "أعتقد أننا قدمنا مباراة جيدة وظهرنا في الشوط الأول بالصورة المأمولة لكننا واجهنا صعوبات أمام المنافس الذي سيطر على بعض مراحل المباراة ورغم ذلك استطعنا الوصول إلى ركلات الترجيح وفزنا باللقاء". وأوضح إنريكي "نطمح إلى مواصلة هذا الصعود نحو البطولات ونعيش لحظات مثالية في النادي ونأمل أن نواصل على المنوال ذاته في مباراتنا المقبلة في كأس فرنسا".

وبذلك حصد باريس سان جرمان، بقيادة إنريكي، سادس ألقابه في عام 2025، الذي سيودعنا بعد أيام، بعدما سبق أن توج خلاله بكأس السوبر الفرنسي في قطر، والدوري الفرنسي، وكأس فرنسا، ودوري أبطال أوروبا، وكأس السوبر الأوروبي، علما بأنه خسر نهائي النسخة الأولى من مونديال الأندية بحلته الجديدة الموسعة على يد تشيلسي الإنجليزي 0 – 3 في 13 يوليو الماضي.

في الطرف المقابل أعرب فيليبي لويس مدرب فلامنغو البرازيلي عن شعوره بالحزن لخسارة فريقه نهائي كأس إنتركونتيننتال. وعقب المباراة قال لويس "أنا أشعر بالحزن ولا أحب الخسارة ولكن أنا فخور باللاعبين؛ فقد قدمنا مباراة تاريخية وكنا قريبين جدا من التتويج، وظهرنا بشكل رائع خلال مجريات اللعب". وأضاف في المؤتمر الصحفي "واجهنا منافسا صعبا يملك أفضل مدرب في العالم، وطريقة تصرفهم في الملعب جيدة، وأنا معجب بأسلوب المدرب لويس إنريكي، وخسرنا بالتفاصيل الصغيرة في نهاية المطاف، وركلات الترجيح صعبة للغاية".

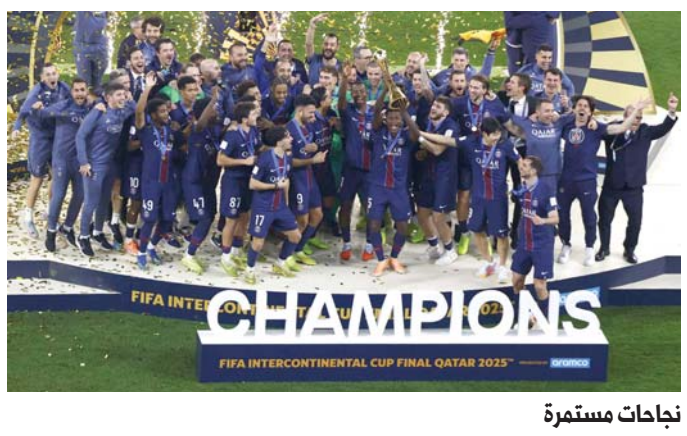

نجاحات مستمرة

هل تعلمت تونس الدرس من النسخ السابقة.. عين نسور قرطاج على لقب ثان

تونس - يدخل المنتخب التونسي بقيادة مدربه سامي الطرابلسي غمار نهائيات النسخة الخامسة والثلاثين من بطولة كأس الأمم الأفريقية لكرة القدم في المغرب وعينه على التتويج باللقب الثاني في تاريخه بعد الأول على أرضه قبل 22 عاما.

في ولايته الثانية بعد الأولى في الفترة بين 2011 و2013، أعاد الطرابلسي "نسور قرطاج" إلى الواجهة بمشوار شبه مثالي في تصفيات كأس العالم على كافة المستويات، إذ حجز المنتخب من خلاله عن جدارة بطاقة عبوره إلى العرس العالمي في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا. وقد تصدر المجموعة الثامنة برصيد 28 نقطة من أصل 30 ممكنة، وسجل خط هجومه 22 هدفا من دون أن تستقبل شباكه أي هدف.

بعد خروج مخيب من الدور الأول للعرس القاري في نسخة 2023 في كوت ديفوار، واستقالة جلال القادري، وتعاقب عدة مدربين مؤقتين (منتصر لوحيشي، فوزي البنزرتي، قيس اليعقوبي)، جاء الطرابلسي ليعيد الانضباط الحقيقي إلى المنتخب.

وقال في تصريح حديث لموقع الاتحاد الأفريقي لكرة القدم (كاف) "لطالما كانت لتونس هوية قوية. يُطلق علينا أحيانا لقب 'إيطاليي أفريقيا' بفضل صرامتنا التكتيكية وصلابتنا الدفاعية. نستقبل أهدافا قليلة، لكننا كنا نسجل قليلا أيضا. لذلك كانت مهمتي الأولى إعادة رفع معنويات المجموعة، إذ كان هناك نوع من الإرهاق وحاجة إلى إعادة بناء الانسجام". وأضاف "بعد ذلك سعينا لتحديث أسلوب لعبنا: البناء من الخلف، شن هجمات سريعة ومتنوعة ومنظمة. كرة القدم الحديثة تفرض أن تعرف كيف تصنع اللعب، لا أن تكتفي بالدفاع. وأخيرًا، قمنا بتعديل مناطق الاسترجاع: بدلًا من الانتظار في الخلف، نسعى إلى الضغط أعلى وإبعاد الخطر"، وتابع "تعلمنا دروسا من النسخ السابقة".

> تونس لم تغب عن أي نسخة من العرس القاري منذ خروجها المخيب من الدور الأول على أرضها عام 1994

يملك المدافع الدولي السابق (81 مباراة دولية) خبرة لا بأس بها في بطولات كأس أمم أفريقيا حيث شارك فيها ثلاث مرات وكان قاب قوسين أو أدنى من الظفر باللقب عام 1996 عندما بلغت تونس المباراة النهائية قبل أن تخسر أمام جنوب أفريقيا المضيفة.

يرى أن طموحه أكبر هذه المرة سواء في الأداء أو في الأهداف. قال "على الأقل نريد بلوغ المربع الذهبي. لكن في داخلي أشعر أننا قادرون على الذهاب أبعد من ذلك. حان الوقت لتحويل تأهلاتنا المتكررة إلى لقب".

ولم تغب تونس عن أي نسخة من العرس القاري منذ خروجها المخيب من الدور الأول على أرضها عام 1994. وأوضح "هذا أمر رائع. لكن الآن يجب أن نترجم هذا الثبات إلى نجاح. علينا أن نخوض هذه النسخة ونحن نطمح إلى اللقب، منذ المباراة الأولى".

وأكد خلال الكشف عن تشكيلته للبطولة المقررة في المغرب "لقد تعلمنا دروسًا كبيرة من بطولات كأس الأمم الأفريقية. سنركز على المباريات الثلاث الأولى (...) وسنتجاوز بنجاح عقدة الدور الأول". ويدرك الطرابلسي جيدا أنه يتأهب للتحدي الأكبر في مشواره الحالي حيث يسعى منتخب بلاده إلى تحقيق إنجاز ثانٍ بعد عام 2004، أو على الأقل الوصول إلى المربع الذهبي، على غرار نسخة مصر 2019.

لم يعلن الطرابلسي من قبل عن الهدف المسطر في هذه البطولة، لكنه ألمح خلال كشفه عن اللائحة المشاركة إلى أن استمراره مع "نسور قرطاج" رهين تحقيق الأهداف المطلوبة في المسابقة.

وأكد عقب الخروج المخيب من الدور الأول لبطولة كأس العرب في قطر أنّ مستقبله "بيد الخالق"، موضّحا أنّ الأهداف التي يتضمّنها عقده لا صلة لها بمسابقة كأس العرب.

العرب
الجمعة 2025/12/19
السنة 48 العدد 13689

الإمارات تنسج خيوط الهوية على قائمة اليونسكو

تحقق الإمارات إنجازا ثقافيا بإدراج أربعة عناصر جديدة في سجل التراث غير المادي، بينها الآهلة والبشت وزفة العروس والكحل، إضافة إلى نقل السدو من قائمة الصون العاجل إلى التمثيلية، مؤكدة ريادتها في حماية الهوية وصون التراث للأجيال القادمة.

أبوظبي - نجحت دولة الإمارات في تحقيق إنجاز ثقافي جديد بإدراج أربعة عناصر إضافية ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية لدى منظمة "اليونسكو". وجاء هذا الإعلان خلال الاجتماع العشرين للجنة الدولية الحكومية لصون التراث الثقافي غير المادي، الذي انعقد في العاصمة الهندية نيودلهي، ليعزز رصيد الإمارات من الإنجازات الثقافية ويؤكد ريادتها في حماية التراث الحي وصونه، ويضعها في مصاف الدول التي تساهم بفاعلية في إبراز التراث الإنساني المشترك.

ويأتي هذا الإدراج تتويجا لجهود الدولة المتواصلة في الحفاظ على عناصرها التراثية وإبرازها على المستوى الدولي. فقد أُدرج فن "الآهلة" كملف وطني ضمن القائمة التمثيلية، باعتباره أحد الفنون الأدائية الشعبية المتوارثة في المجتمع الإماراتي، حيث يُمارس في المناسبات الاجتماعية والاحتفالات الشعبية، ويعكس روح الجماعة والتلاحم الاجتماعي. إلى جانب ذلك، تم تسجيل ثلاثة عناصر أخرى هي "البشت"، و"زفة العروس"، و"الكحل" كملفات عربية مشتركة، في دلالة على عمق الروابط الثقافية التي تجمع الإمارات بمحيطها الخليجي والعربي، وتؤكد أن التراث ليس ملكا لدولة واحدة، بل هو جسر للتواصل بين الشعوب.

وفي خطوة استثنائية، صادقت اللجنة على نقل عنصر "السدو" من قائمة التراث الثقافي غير المادي الذي يحتاج إلى صون عاجل، والتي أُدرج فيها عام 2011، إلى القائمة التمثيلية. ويُعد "السدو" أحد أبرز فنون النسيج التقليدي الذي تمارسه النساء في البادية، ويتميز بزخارفه الهندسية وألوانه المستوحاة من البيئة الصحراوية. وقد جاء هذا النقل بعد أن استوفت الإمارات الشروط والمعايير الدولية بفضل برامج الصون المستدام التي نجحت في حمايته من الاندثار، وجعلته جزءا حيا من المشهد الثقافي اليومي. ويُعتبر هذا الاعتراف الدولي دليلاً على فاعلية التدابير التي اتخذتها الدولة لضمان استدامة هذا العنصر ونقله إلى الأجيال القادمة، وتحويله إلى رمز من رموز الهوية الوطنية.

وفي هذا السياق، قال الشيخ سالم بن خالد القاسمي، وزير الثقافة، "يمثل إدراج أربعة عناصر جديدة في قوائم اليونسكو خطوة مهمة في مسيرة الإمارات لحماية تراثها الثقافي غير المادي، ويعكس حرصنا على تعزيز حضور عناصرنا التراثية عالميا. كما أن انتقال ملف السدو إلى القائمة التمثيلية يجسد نجاح الجهود المشتركة بين الجهات المعنية والمجتمع في ضمان استمرار هذا الفن العريق ونقله للأجيال القادمة". وأضاف "سنواصل العمل على توثيق وحماية تراثنا الحي بما يعزز الهوية الوطنية، ويُسهم في ترسيخ مكانة الإمارات مركزا معرفيا وثقافيا رائدا في المنطقة والعالم".

من جانبه، علّق محمد خليفة المبارك، رئيس دائرة الثقافة والسياحة في أبوظبي، قائلا "يعكس هذا الإنجاز الاستثنائي التزام أبوظبي الراسخ بصون التراث الثقافي الحي والاحتفاء به بوصفه ركنا أصيلا من هويتنا الوطنية. ومن خلال البرامج طويلة المدى، والشراكات المجتمعية، والمهرجانات التي تدمج هذه التقاليد في نسيج الحياة اليومية، نجحنا في ضمان استمرار ممارسات مثل الآهلة، والبشت، وزفة العروس، والكحل كجزء فاعل من تجربتنا المشتركة".

وأضاف المبارك "يشكل النقل الناجح لملف السدو مصدر فخر لكل إماراتي، إذ يبرز كيف تسهم جهود الحرفيين الذين يمتلكون المعرفة والمهارات اللازمة لممارسة هذه الحرفة، إلى جانب الشباب والناشئة الذين ورثوا هذه الخبرة، في تجديد هذا العنصر التراثي وتحويله إلى تعبير نابض بالحياة يحظى بالتقدير على المستوى العالمي".

واختتم قائلا "بينما نواصل مشاركة السردية الثقافية الغنية لأبوظبي مع العالم، نمضي قدما في تمكين المجتمعات المحلية، ورعاية الإبداع، وضمان بقاء تراثنا محفوظا ومُمارسا ومنقولا بثقة إلى الأجيال القادمة، ليظل مصدر فخر واعتزاز لها".

إن إدراج هذه العناصر الجديدة في قوائم اليونسكو لا يمثل مجرد اعتراف دولي بالتراث الإماراتي، بل يعكس رؤية إستراتيجية للدولة في جعل الثقافة والتراث جزءا من قوتها الناعمة. فالفنون الشعبية مثل "الآهلة" تعكس قيم التلاحم والفرح، بينما يمثل "البشت" رمزا للوجاهة والهوية الخليجية، و"زفة العروس" طقسا اجتماعيا يعبر عن الفرح الجماعي، أما "الكحل" فيحمل دلالات جمالية وصحية متوارثة عبر الأجيال.

كما أن نجاح الإمارات في نقل "السدو" من قائمة الصون العاجل إلى القائمة التمثيلية يُبرز قدرتها على تحويل التحديات إلى فرص، ويؤكد أن التراث ليس مجرد ماض يُحفظ في المتاحف، بل هو ممارسة حية تتجدد عبر الأجيال. هذا الإنجاز يضع الإمارات في موقع متقدم بين الدول التي تساهم في إثراء التراث الإنساني، ويعزز من حضورها الثقافي على الساحة العالمية.

وتؤكد الإمارات بهذا الإنجاز أن حماية التراث الثقافي غير المادي ليست مسؤولية محلية فحسب، بل هي مساهمة في صون ذاكرة الإنسانية المشتركة. ومن خلال إدراج أربعة عناصر جديدة ونقل "السدو" إلى القائمة التمثيلية، تواصل الدولة مسيرتها في جعل التراث الحي جزءا من حاضرها ومستقبلها، وتثبت أن الهوية الوطنية تتجدد وتترسخ عبر الثقافة، لتظل الإمارات مركزا معرفيا وثقافيا رائدا في المنطقة والعالم.

عنوان وهوية

منى حاطوم تعرض شبكات الهشاشة في ميلانو

ميلانو (إيطاليا) - في افتتاح لافت لبرنامجها الثقافي لعام 2026، أعلنت مؤسسة برادا عن تنظيم معرض فني ثلاثي الأجزاء للفنانة البريطانية – الفلسطينية منى حاطوم، بعنوان "فوق، تحت، في المنتصف"، وذلك في مبنى السيستيرنا بمدينة ميلانو، خلال الفترة الممتدة من 29 يناير – كانون الثاني إلى 9 نوفمبر – تشرين الثاني 2026.

ويأتي هذا المشروع بوصفه باكورة عام ثقافي حافل بالمعارض والبرامج متعددة التخصصات، التي تشمل الفنون البصرية والسينما والموسيقى والبحث الثقافي، وتتوزع فعالياتها بين مدينتي ميلانو والبندقية.

ومنى حاطوم، المولودة عام 1952 في بيروت، والمقيمة في لندن، تُعدّ من أبرز الأسماء في الفن المعاصر. وقد انطلقت مسيرتها الفنية في ثمانينات القرن الماضي من خلال أعمال أدائية وفيديوهات اتسمت بالقسوة البصرية، وركزت على ثيمات الجسد والمراقبة والمنفى. ومن بين أعمالها المبكرة معرض جمع بين رسائل والدتها وصور لها تحت الدوش، في استكشاف مؤلم للعلاقة الأمومية في سياق الحرب والاغتراب.

ومع مرور الوقت، تطورت أعمال حاطوم نحو تركيبات نحتية كبيرة الحجم، حوّلت فيها العناصر اليومية المألوفة إلى أشكال مقلقة وغريبة؛ فمبشرة جبن عملاقة تتحول إلى حاجز بشري، فيما تتحول كرة أرضية مضاءة بالنيون الأحمر إلى رمز للتوترات الجيوسياسية ومناطق الصراع حول العالم. وفي معرض مؤسسة برادا، تتفاعل حاطوم مع الفضاء الصناعي السابق لمصنع تقطير الكحول في مبنى السيستيرنا، الذي يتألف من ثلاث قاعات شاهقة الارتفاع، عبر ثلاث تركيبات فنية تستحضر مفرداتها البصرية المتكررة، مثل الشبكة العنكبوتية والخارطة والشبكات المعدنية.

في القاعة الأولى، تنتصب كوكبة ضخمة من كرات زجاجية شفافة، منفوخة يدوياً ومعلّقة بأسلاك معدنية، لتشكّل شبكة عنكبوتية تحوم فوق رؤوس الزوار، في إحالة رمزية إلى مفاهيم الاحتجاز والإهمال، وهشاشة الروابط العائلية، والترابط القلق في زمن الاضطرابات.

الإماراتية بثينة الرئيسي تغيب عن دراما رمضان

دبي - شكّل غياب الفنانة الإماراتية بثينة الرئيسي عن المشهد الدرامي الرمضاني لهذا العام موضوعا لافتا للنقاش بين متابعي الفن الخليجي. فبعد سنوات من الحضور المميز الذي طبع مسلسلات مثل "عالي السقف" و"حيل كوم"، يأتي هذا الغياب ليطرح تساؤلات حول أسبابه وانعكاساته.

من الأسباب المحتملة لعدم مشاركتها هذا العام تنوع أولويات الفنانين، فقد تختار الممثلة تخصيص وقتها لمشاريع فنية مختلفة لا تتزامن مع إنتاجات رمضان، مثل الأعمال المسرحية أو السينمائية، أو حتى التركيز على مشاريع شخصية وعائلية. كما أن طبيعة العروض المقدمة تلعب دورا، فقد لا تتوفر نصوص درامية تتناسب مع قامتها الفنية أو تقدم شخصيات تلهمها في فترة التحضير.

من ناحية أخرى، يُعد تغير خارطة الإنتاج الدرامي في الخليج عاملا مؤثرا. فمع تزايد عدد القنوات والمنصات والإنتاجات، قد تختار بعض الأسماء البارزة المشاركة في أعمال تُعرض خارج إطار المنافسة الرمضانية التقليدية، للحصول على مساحة أكبر للإبداع أو وصول أوسع للجمهور عبر المنصات الرقمية.

تأثير هذا الغياب مزدوج؛ من جهة، يشعر الجمهور بفارق نوعي نظرًا لما تتمتع به الفنانة من قدرة على تجسيد الشخصيات الإماراتية الأصيلة بعمق وصدق، مما يضفي على العمل مصداقية وجاذبية، ومن جهة أخرى، يفتح المجال لظهور وجوه جديدة ومواهب شابة لتحتل الواجهة، مما يُنعش المشهد الفني ويدفع بعجلة التجديد.

يبقى غياب فنانة بحجم بثينة الرئيسي حدثا ملحوظا، لكنه يندرج في إطار الحركة الطبيعية للحياة الفنية ودوراتها. غيابها المؤقت قد يكون فرصة لتقدير إرثها السابق، وانتظار عودتها مستقبلا بعمل يليق بمكانتها، سواء في رمضان المقبل أو في توقيت آخر يثبت أن الفن الجيد لا يرتبط بموسم محدد.

الرباط تحتضن أول مهرجان لـ«أقدم قفطان في المغرب»

الرباط - شهد فضاء باب الوداية بالعاصمة، مساء الأربعاء، انطلاق النسخة الأولى من مهرجان "أقدم قفطان في المغرب"، في مبادرة ثقافية تهدف إلى صون التراث الوطني وإبراز إشعاعه، بتنظيم من الجمعية المغربية للثقافة والتراث، وبتنسيق مع وزارة الشباب والثقافة والتواصل.

افتتح الحفل، الذي تولت تقديم فقراته الإعلامية هانية قسومي، بدقيقة صمت ترحماً على ضحايا فيضانات آسفي، أعقبها عزف النشيد الوطني في أجواء غلب عليها الاعتزاز بالهوية المغربية، خاصة وأن التظاهرة تتزامن مع إدراج القفطان المغربي ضمن قائمة التراث الإنساني لدى منظمة "اليونيسكو".

وفي كلمة بالمناسبة، أعرب صلاح الدين عبقري، الكاتب العام بالنيابة لقطاع الثقافة، عن فخره بالمشاركة في هذا الحدث الفني والتاريخي، مؤكداً أن القفطان المغربي يمثل إحدى أبهى صور الإبداع المغربي وأكثرها قدرة على الصمود عبر العصور.

أن تسجيل القفطان وما يرتبط به من معارف ضمن قائمة اليونيسكو يشكل محطة فارقة في مسار حماية الهوية الوطنية، مشدداً على أن هذا الاعتراف ليس مجرد إجراء إداري، بل شهادة عالمية تثبت أن القفطان فن اجتماعي وثقافي ومهارة يدوية تناقلتها الأجيال.

صباح العرب

علي قاسم
كاتب سوري

هؤلاء كتبوا قصة هوليوود يا سيادة الرئيس

السيد الرئيس، حين تتحدث اليوم عن المهاجرين وكأنهم عبء على الولايات المتحدة، يجدر بك أن تتأمل في قصة هوليوود، وفي أسماء أغنت الثقافة الأميركية وأعطت للعالم صورة عن الحرية والإبداع. هوليوود لم تُبنَ على أيدي النخب المترفة، بل على أكتاف المهاجرين وأبنائهم الذين جاؤوا من إيطاليا وأيرلندا وأوروبا الشرقية وبريطانيا، حاملين معهم ذاكرة الفقر والتهميش، ومعها طموحًا لا حدود له.

خذ مثلًا قصة المخرج مارتن سكورسيزي والممثل روبرت دي نيرو. كلاهما ابن مهاجرين، نشآ في أحياء نيويورك القاسية، حيث كان حضور العصابات والمافيا جزءًا من المشهد اليومي. هذه البيئة لم تدفعهما إلى الانحراف، بل ألهمتهما لصناعة فنٍّ أصبح علامة فارقة في تاريخ السينما. سكورسيزي، ابن عائلة إيطالية مهاجرة، ودي نيرو، ابن أب إيطالي وأم أيرلندية، تحولا معًا إلى ثنائي أسطوري قدّم للعالم أفلامًا مثل سائق التاكسي، والثور الهائج، والرفاق الطيبون. هذه الأعمال لم تكن مجرد قصص عن الجريمة، بل تأملات في الهوية والكرامة والبحث عن الخلاص، وهي قيم إنسانية عالمية.

وليس سكورسيزي ودي نيرو وحدهما. فهوليوود مدينة المهاجرين منذ بداياتها. يكفي أن نتذكر تشارلي شابلن، المهاجر البريطاني الذي وصل إلى أميركا في بدايات القرن العشرين، ليصبح أحد أعظم رموز السينما الصامتة وأكثرها تأثيرًا في العالم. شابلن، ابن أسرة فقيرة في لندن، حمل معه إلى هوليوود حساسية اجتماعية عميقة، فجعل من شخصية "المتشرد" رمزًا عالميًا للإنسان البسيط الذي يواجه قسوة الحياة بكرامة وابتسامة. لقد كان شابلن مهاجرًا، لكنه صنع صورة أميركا في أعين الملايين حول العالم، وأثبت أن الفن المهاجر يمكن أن يكون القوة الناعمة الأبرز للولايات المتحدة.

السيد الرئيس، حين تنظر إلى المهاجرين كخطر، أنت تتجاهل أن أعظم قصص النجاح الأميركية هي قصص مهاجرين. من سكورسيزي ودي نيرو إلى شابلن الذي غيّر وجه الفن العالمي، إلى ستيف جوبز ابن المهاجر السوري، إلى سيرجي برين مؤسس غوغل القادم من روسيا، كلها شواهد على أن المهاجرين لا يضعفون أميركا، بل يقوّونها. إنهم يضيفون إلى نسيجها الاجتماعي، ويجددون طاقتها، ويمنحونها القدرة على الإبداع المستمر.

إن الثقافة الأميركية التي تتباهى بها أمام العالم هي نتاج مباشر لتجارب المهاجرين. هوليوود، التي تصدر أفلامها إلى كل القارات، هي صناعة مهاجرين. الموسيقى التي غزت العالم، من الجاز إلى الهيب هوب، هي نتاج تلاقح ثقافات مهاجرة. حتى المطبخ الأميركي الذي يزين موائدكم اليوم، هو خليط من أطباق إيطالية ومكسيكية وآسيوية. فكيف يمكن أن يُنظر إلى المهاجرين كتهديد، وهم في الحقيقة مصدر قوة؟

قصة سكورسيزي ودي نيرو، وقصة شابلن قبلهما، تقول شيئًا بسيطًا: أبناء المهاجرين لم يصبحوا عبئًا على الدولة، بل أصبحوا أساطير حيّة، يعرّفون العالم بالولايات المتحدة، ويمنحونها مكانة لا تضاهى. هذه هي أميركا التي يعرفها العالم: أميركا المهاجرين، أميركا الفرص، أميركا التي تحوّل الهامش إلى مركز.

السيد الرئيس، إذا أردت أن تحافظ على مجد أميركا، فلا تنظر إلى المهاجرين كغرباء، بل انظر إليهم كصانعي المستقبل. فكما صنعوا مجد هوليوود بالأمس، سيصنعون مجد التكنولوجيا والعلوم والفنون غدًا. إنهم ليسوا عبئًا، بل هم الطاقة المتجددة التي تبقي الحلم الأميركي حيًا.